الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 1435101451

المعز ابن باديس الصنهاجي وأدواره المضادة للدولة الفاطمية العبيدية في المغرب الإسلامي (ق05هـ/11م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ **تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط**

إعداد الطالبة:
فايزة طيهار

إشراف الدكتور:
النذير قوادرية

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	محمد حصباية	أستاذ محاضر-ب-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	رئيسا
02	النذير قوادرية	أستاذ محاضر-ب-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	مشرفا ومقررا
03	فتحي عباس	أستاذ محاضر-ب-	جامعة محمد بوضياف-المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل ووفاءا بالعرفان أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من كان له يد العون في إنجاز هذه المذكرة

إلى الأستاذ المشرف الدكتور النذير قوادرية الذي وجهنا وسدد خطانا بنصائحه

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذه الرسالة وإليهم فائق الاحترام والتقدير

إهداء

الحمد والشكر أولا لله الذي سدد خطانا وأنار سبيلنا ويسر لنا إتمام هذا العمل ووفقنا في المشوار الدراسي والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

إلى من ربتني وقادتني إلى حيث أنا الآن أمي الغالية عائشة

إلى قرة عيني وقدوتي وسندي أبي الغالي أحمد أطال الله في عمره

إلى إخوتي وأخواتي رعاهم الله عبد الحليم وفيروز ولخضر وإلياس وإسمهان ورضا

وإلى كل زملائي وزميلاتي وأخص بالذكر صديقتي طيباوي يمينة وقذيفة كريمة

طيهار فايزة

مقدّمة

-مقدمة:

ظهرت ببلاد المغرب الأوسط العديد من الدويلات التي حكمتها، ومن أهم هذه الدويلات الدولة الصـــنهاجية الزيرية، التي عرفت تطور كبير في عهد الأمير الزيري المعز ابن باديس الصنهاجي، الذي كان له الفضل في الانفصال السياسي والانفصال المذهبي عن الفاطميين الشـــيعة في القاهرة، وبين الزيريين في إفريقية، وليعلن عودته للمذهب الســـني المالكي كما أعلن ولاءه للخلافة العباســـية، ونتيجة لهذا الانفصـــال، عملت الدولة الفاطمية للانتقام من المعز ابن باديس الصـــنهاجي وذلك بالســـماح للأعراب الهلالية بالزحف لبلاد المغرب الإسـلامي، وقد ألحقت هزائم متتالية بالمعز ابن باديس، كما قاموا بالقضـاء على قوة الزيريين، ونتيجة لهذه الأحداث المتتالية التي هي جزء من تاريخ الدولة الصـــنهاجية الزيرية جاءت دراستنا بعنوان "المعز ابن باديس الصـنهاجي وانفصـاله عن الدولة الفاطمية في سـنة (404-454هـ/1016-1062م).

أ-أهمية الموضـوع وإشـكاليته: تمكن أهمية الموضـوع في كونه يتكلم عن المعز ابن باديس الصـنهاجي وانفصـال عن الدولة الفاطمية العبيدية، حيث يندرج ذلك ضـمن التاريخ الوطني، لأن الزيريون الصـــنهاجيون في الواقع جزائريون انتقلوا إلى القيروان حاضـــرة بلاد المغرب، وأصـــبحوا القوة الأولى بالمنطقة، إذن البحث في تاريخ الدولة الزيرية هو بحث في تاريخ أجدادنا الذي صـنعوا صـفحات مجيدة في بلاد المغرب، وهذا ما جعلني أرغب في دراسـة هذا الموضـــوع، ووفقا لهذا حاولت الإجابة على جملة من الإشـــكاليات وهي تمثل أســـاســـا في معالجتي للموضوع، وهي كالتالي:

- كيف كان الدور المضـاد للدولة الذي لعبه المعز ابن باديس الصـنهاجي في انفصـاله عن الدولة الفاطمية العبيدية؟

- وهذا الإشكال المحوري تشعب عنه عدة تساؤلات فرعية نسوقها كالتالي:

- ما هي أسباب القطيعة السياسية والمذهبية؟

- من كان وراء القطيعة التي حدثت في القيروان والقاهرة وفي أي سنة وقعت تحديدا؟

- وكيف كان رد فعل الدولة الفاطمية بعد القطيعة؟

ب-أسباب اختيار الموضوع: من الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع بناء على جملة من الاعتبارات هي:

أولا: كون التاريخ الزيري الصـــنهاجي لم يحظ بالكثير من الدراســـات، بالمقارنة مع الدولة الحمادية، مع أن كلتا الدولتين قامتا ببلاد المغرب الأوســـط، ولما أدركت هذا رأيت أنه من المناســب أن أبحث في تاريخ الزيريين الصــنهاجيين ببلاد المغرب، وإن الأصــل في دراســة تاريخ الدولة الزيرية هو بحث في تاريخ أجدادنا والذين صــنعوا صــفحات مجيدة في مختلف بقاع الأرض بشهادة الكثير من المؤرخين.

ثانيا: فهم وإدراك حقيقة الصراع بين السنة والشيعة، حيث كانت بلاد المغرب إحدى الحلبات لهذا الصراع في العالم الإسلامي.

ثالثا: إدراك دور المعز ابن باديس في إحداث القطيعة النهائية مع الدولة الفاطمية العبيدية سياسيا ومذهبيا، ونتيجة لهذه المقاطعة لم يعد للشيعة وجود يذكر في بلاد المغرب الإسلامي بعد هذه المرحلة.

رابعا: بيان دور علماء أهل السنة المالكية في التصدي للفكر الشيعي الإسماعيلي الباطني، ودورهم في الأحداث الكبرى التي شـــهدتها المنطقة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، وخاصة في إحداث القطيعة بين المعز ابن باديس والدولة الفاطمية.

ج-المناهج: وقد اعتمدنا في كتابة هذا الموضـــوع على المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع المعلومات التاريخية وانتقائها، ثم تحليلها ومناقشتها ونقدها، ومن ثمة محاولة الوصول إلى الحقيقة.

د-الصعوبات: ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث:

- ضـــيق الوقت لأن هذا النوع من الدراســـات يتطلب وقتا كبيرا للوقوف على جميع جوانبه، بالإضافة لنقص المراجع التي تتكلم عن الانفصال السياسي والمذهبي للمعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية.

– اختلاف آراء المؤرخين في بعض الأحداث مثل تحديد التاريخ الحقيقي لانفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية بدقة.

– صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع التاريخية المهمة لعدم توفرها أحيانا وأحيانا أخرى تلف صفحاتها.

هـ–عرض الموضوع: بعد جمع المادة العلمية وتطبيق الآليات المنهجية اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى فصل تمهيدي بالإضافة إلى فصلين، حيث كان لابد منها من أجل حصر الموضوع، وقمنا بمعالجتهم كما يلي:

– الفصل التمهيدي المعنون بـ: "لحملة تاريخية عن المعز ابن باديس الصنهاجي"، والذي شمل على عنصرين، وكان أولهما المعز ابن باديس الصنهاجي، وأما العنصر الثاني الدولة الفاطمية العبيدية ببلاد المغرب.

– الفصل الأول فعنوناه بـ: "الانفصال السياسي للمعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية، وشمل على ثلاث عناصر، فتناولنا في العنصر الأول أوضاع المغرب الإسلامي بعد تولي الحكم المعز ابن باديس الصنهاجي، أما العنصر الثاني فعنوناه بالأحداث التي ميزت انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية بإفريقية، أما العنصر الثالث فتطرقنا فيه إلى قطيعة المعز ابن باديس مع الفاطميين العبيديين وولائه للدولة العباسية.

– الفصل الثاني فجاء يحمل عنوان: "الانفصال المذهبي للمعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية ونصرته للمذهب السني"، وشمل ثلاثة عناصر، فالعنصر الأول شمل الصراع بين المذهب السني والمذهب الشيعي ببلاد المغرب وإفريقية، أما العنصر فشمل الانفصال المذهبي للمعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية في إفريقية، أما العنصر الثالث فتطرقنا فيه إلى الغز الهلالي نحو بلاد إفريقية ونهاية عهد المعز ابن باديس.

و–تحليل المصادر والمراجع: وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع أهمها:

– ابن خلدون (808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، حيث أعطانا معلومات قيمة حول هذا الموضوع.

– تقي الدين المقريزي (ت845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، فقد أفادنا كثيرا فهو مصدر غني يحتوي على أخبار لا تتوفر في كتب غيره.

– شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت726هـ)، سير أعلام النبلاء، ويحتوي على معلومات حول بحثي وأفادني كثيرا.

وقد اعتمدنا أيضا على مجموعة من المراجع أهمها:

– الدولة الصنهاجية لمؤلفه، الهادي روجي إدريس، حيث يعتبر مرجع أساسي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة من خلال القضايا التي عالجها بدقة، والتي تخص الدولة الصنهاجية.

الدولة الفاطمية لعلي محمد الصلابي، والذي ساهم بشكل كبير في إثراء بحثي، حيث يعتبر هذا المرجع من المراجع التي رصدت حياة المعز وأحوال الدولة الصنهاجية، كما زودت بحثي ببعض الخرائط التي رأيت أنها توضح الصورة للقارئ وتخدم الموضوع.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل الذي وفقني لتكملة هذا البحث، وأشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد، كما أوجه جزيل شكري إلى الأستاذ المشرف على هذه الرسالة الدكتور النذير قوادرية على نصائحه وتوجيهاته القيمة.

الفصل التمهيدي

ظهور الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي والسياسة المضادة للمعز بن باديس لها

أولا: قيام الدولة الفاطمية

ثانيا: عبيد الله المهدي أول خليفة شيعي رافضي

ثالثا: تثبيت دعائم الحكم الفاطمي بالمغرب

رابعا: سقوط الدولة الفاطمية العبيدية

خامسا: شخصية المعز بن باديس الصنهاجي

- تمهيد.

شهد العصر الوسيط نشوء واحدة من أقوى الدول التي قامت في المغرب العربي وهي الدولة الفاطمية (297-909هـ)، والتي استمرت ثلاثة قرون من الزمن وقامت الفاطمية في المغرب بفضل الدعاة الإسماعيلية، وفرضت سيطرتها على مساحة واسعة من المغرب وإنهاء الدويلات التي كانت قائمة وهي الدولة المدارية والرستمية والأدارسة وأخير دولة الأغالبة، واستطاع الفاطميون قطع بلاد احتواء المغرب إلى الخلافة الفاطمية وإنهاء الوجود العباسي بعد أن قوى جيشها بشكل ملحوظ، حيث دخلت كثير من قبائل المغرب في ذلك الجيش وعمل الفاطميون بصورة علنية في المغرب على نشر المذهب الإسماعيلي، وقد حقق الداعي الفاطمي أبو عبيد الله الشيعي نجاحات في نشر المذهب الشيعي، ومن أبرزها إنجازات الخليفة الفاطمي الأول بناء وتثبيت قواعد الدولة التي أرساها داعيته وتنظيم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ومن أبرز بنائه عاصمتها المهدية.

لقد وصلت إفريقيا إلى التقدم والازدهار في عهد الأمراء الصنهاجيين لا سيما في عهد المعز بن باديس، وبلغت شأنا عزيما في التمدن الإسلامي وذلك لتوفرها على الأسباب المساعدة على الرقي المادي، فالمعز بن باديس كان له دور كبير في محاربة الدولة العبيدية الفاطمية وإعادة الشمال الإفريقي إلى مذهب أهل السنة، وكان أميرا للدولة الزيرية بعد وفاة أبيه منصور بن بلكين، وفي عهده حدث تحول في مسيرة هذه الدولة وعلاقاتها بالعبيديين المعادية، وعمل على نشر المذهب السني والتقرب إلى العامة والعلماء والفقهاء من أهل السنة، وأعلن ابن باديس انضمامه للخلافة العباسية وأحرق أعلام العبيديين وشعاراتهم وخرّب مؤسساتهم، كما ساهم في محاربة المذاهب المخالفة للمذهب السني، ومن بين هذه المذاهب (الصفرية والنكارية والمعتزلة والإباضية)، وسياسة المعز بن باديس لقيت رضا أهل السنة وفي المقابل استياء العبيديين وحقدهم وتلقى ابن باديس العديد من رسائل التهديد والوعيد للعودة للمذهب الإسماعيلي وطاعة الدولة العبيدية، لقد تلقى ابن باديس العديد من الهزائم وذلك القبائل العربية وخذلان جنود البربر لا سيما أنهم كانوا لا يزالون يعظمون العبيديين،

انتقل المعز إلى المهدية في سنة 449هـــ واتخذها عاصمة لدولته الذي انحصر نفوذها في المهدية وشـــريط ضـــيق حولها، أما القبائل العربية فقد عادت إلى الشـــمال الإفريقي للدعوة الإسماعيلية، واستقر المعز في المهدية وفرض أمر الدولة وشؤون الحكم لابنه تميم، وما هي حتى سنوات قليلة حتى توفي المعز ابن باديس في 454هـ بعد حكم دام 47 سنة.

أولا: قيام الدولة الفاطمية:

لقد كان قيام الدولة الفاطمية مرتبط بدعوة دينية وهي الدعوة الإسماعيلية[1]، ولم تعرف الدولة الفاطمية إلا بعد إعلان إمامها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي[2] قيام دولة الفواطم عام (297هـ/909م)، أما قبل هذا التاريخ فكانت الدعوة تتسم بالسرية والكتمان في علمها، فقد كان لدعوتها نظام خاص يختلف عن باقي الدعوات.

الدعوة الإسماعيلية كانت بعد موت الإمام جعفر بن محمد الصادق، وافترقت الشيعة إلى فرقتين، فرقة ساقت الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم وهؤلاء هم الشيعية الإثني عشرية، وفرقة نقد عنه الإمامة وقالت: «إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل»، وهذه الفرقة عرفت بالشيعة الإسماعيلية.[3]

قال عبد القاهر البغدادي في شأن الإسماعيلية: «وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعد ابنه إسماعيل»[4]، وقال الشهرستاني: «الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الإثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدئ الأمر».

---

[1]– الدعوة الإسماعيلية: وهي دعوة قائمة على أساس الانتساب للإمام السابع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق الذي يرجع نسبه للإمام علي ابن أبي طالب، للمزيد من المعلومات عنها ينظر: الأشعري وخلف الفمي (ت300هـ)، **المقالات والفرق**، تعليق: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، 1963، ص224.

[2]– هو عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد، ويرجع نسبه للإمام جعفر الصادق الكوفي الداعي جعفر أبي القاسم الحسن ابن قرج بن خوشب (ت380هـ)، **فرائض وحدود الدين**، تقديم: حسين بن فيضل الهمداني، القاهرة، 1958، ص9.

[3]– محمد علي (الصلابي)، **الدولة الفاطمية**، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة–مصر، 1427هـ/2006م، ص37.

[4]– أبي منصور عبد القاهر ابن طاهر ابن محمد (البغدادي)، **الفرق بين الفرق (بيان الفرقة منهم عقائد الفرقة الإسلامية وآراء كبار أعلامها)**، تحقيق: محمد عثمان الخشن، ط1، جامع الفتح، القاهرة–مصر، ص62.

قالوا: ولم يتزوج الصـادق رضـي الله عنه على أمه بواحدة من النسـاء ولا بالجواري لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق خديجة رضي الله عنها.[1]

ووقع الاختيار على اليمن لكي تكون مركزا للدعوة الشـيعية الإسـماعيلية لبعدها عن أنظار الدولة العباسـية، ومن هناك بدؤوا في إعداد القوة العسـكرية السـرية التي هي عدة في المستقبل، وتسلم القيادة في اليمن رجل يدعى "رستم ابن حويشب" الذي استطاع أن يستقطب بعض الفرس المعادين للمسـلمين، إلا أنه رأى أن أرض المغرب خصـبة للبذور الشـيعية، فأرسـل من اليمن رجلين من الأنصـار هما سـفيان والحلواني إلى طرابلس وتونس لنشـر المذهب الشـيعي، واسـتطاع أن يتوغل بأفكارهما في قبائل البرانس ذات القوة الكبيرة وذات العدة والعتاد، والتي تتطلع إلى إقامة دولة في المغرب على منهج الأدارسـة في المغرب الأقصى والأغالبة الذين عاصمتهم تونس.[2]

ومن بين الذين اختارهم ابن حويشب في اليمن: أبو عبد الله الشيعي، حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشـيعي من أهل صـنعاء، وكان قد وقع اختيار ابن حويشـب على هذا الرجل لملامسـته فيه من صـفات قيادية بارزة من علم وذكاء ومقدرة على التعامل مع الناس، ويعتبر أبو عبد الله الشـيعي اليماني الصـنعاني المؤسـس الفعلي للدولة العبيدية الرافضـية الإسـماعيلية في المغرب، فأرسـل ابن حويشـب بعد موت الحلواني وأبي سـفيان الداعيين بالمغرب وقال لـه: «إن أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وسـفيان وقد مات وليس لك غيرها فبادر فإنها موطن ممهد لك».[3]

---

[1]– محمد بن عبد الكريم (الشـهرسـتاني)، **الملل والأهواء والنحل**، ج1، تحقيق: محمد إبراهيم نصـرو، عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت–لبنان، 1992.

[2]– علي محمد (الصلابي)، **المرجع السابق**، ص42.

[3]– عبد الفتاح (الغنيمي)، **موسوعة المغرب العربي**، ج2، ص57.

ثانيا: عبيد الله المهدي أول خليفة شيعي رافضي.

عبيد الله أبو محمد أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإســـلام وأعلنوا بالرفض وأبطلوا مذهب الإســـماعيلية وبثوا الدعاة[1]، وذكر ما قيل عنه في نسبه، ثم قال المحققون على أنه داعي بحيث أن المعز منهم لما سأل السيد ابن طباطبة عن نسـبه قال: «غدا أخرجه لك ثم أصـبح وقد ألقى عرمة من الذهب وقال: وهذا حسـبي»[2]،أما مفتي الديار رحمه الله الشيخ طاهر الزاوي فقد قال في ترجمة عبيد الله المهدي: «هو مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها وهو عراقي الأصـل ولد في الكوفة في 260هـ/873م، واختبأ في بلده سلمية بؤرة الإسماعيلية الباطنية في شمال الشام ومن يوم أن ولد إلى أن استقر في سـلمية كان يعرف باسـم سـعيد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح وفي منطقة سـلمية مقر الإسـماعيلية علي بن حسـن بن أحمد بن محمد بن إسـماعيل بن جعفر الصـادق وأقام له الإسـماعيلية مزارات سـرية وقرروا نقل الإمامة من ذرية إسـماعيل بن جفر الصـادق إلى ابنهم بالنكاح الروحي».[3]

وبعد أن تخلص عبيد الله المهدي من خصومه أراد أن ينشر مذهبه في القيروان، ومن ثم الشمال الإفريقي، ولكن طلائع علماء أهل السنة والجماعة واجهوه واقنعوا الناس بأن الدولة العبيدية كقرية بعيدة عن الشريعة الإسلامية.[4]

رأى عبيد الله المهدي بعد أن تخلص من أبي عبد الله الشـيعي وأخضـع الكتاميين أن يســـتعين في إدارته دولته بولاة آخرين يطمئن إليهم، فولى على المغرب الأدنى حباســـة بن يوســـف، وعين على بلاد المغرب الأوســـط والأقصـــى أخاه عروبة بن يوســـف، وكان مقره

---

[1]– شـمس الدين محمد بن أحمد (الذهبي)، **سـير أعلام النبلاء**، ط11، ج15، مؤسـسـة الرسـالة، بيرت–لبنان، 1997، ص141.

[2]– الذهبي، **المصدر السابق**، ص42.

[3]– طاهر أحمد (الزاوي)، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط1، دار المدار الإسلامي، سلسلة الجهاد في ليبيا، طرابلس–ليبيا، 2004، ص253.

[4]– علي محمد (الصلابي)، **المرجع السابق**، ص49.

تيهرت[1]، كذلك وجه عبيد الله المهدي عنايته بإخضاع قبائل صنهاجة بالمغرب الأقصى والقضاء على نفوذ الأدارسة في فاس، وعهد بذلك إلى قائده مصالة بن حبوس في فاس، والتقى بيحي ابن إدريس بالقرب من مكناسة فأوقع به هزيمة، واضطر يحي إلى طلب الصلح على أن يؤدي إليه بعض الأموال ويبايع لعبيد الله المهدي، فولاه مصالة على فاس، كما ولى موسى ابن أبي العافية على سائر بلاد المغرب الأقصى، فخلع طاعة خليفتهم ودخل في طاعة عبد الناصر الأموي بالأندلس.[2]

لم تقتصر مجهودات عبيد الله المهدي على توطيد سلطان خلافته، بل رأى أن يبني حضارة في مكان يتوسط أجزاء دولته ليتخذها حصنا يعتصم به هو وأنصاره ويواجه منه هجماته إلى الخارجين عليه، ولتكون مقر الدعوة الإسماعيلية، فخرج يرتاد موقعا يصلح لتحقيق أغراضه فوقع اختياره على مكان المهدية[3]، وقد ذكر البكري أن البحر يحيط زناتة كل باب منها ألف قنطار وطوله ثلاثون شبرا.[4]

ثالثا: تثبيت دعائم الحكم الفاطمي بالمغرب:

أرسل عبيد الله المهدي بعد إعلان خلافته عمالا إلى الولايات المختلفة واختيارهم من زعماء كتامة ومن من يثق بهم من المغاربة، وعهد إلى عبيد الله الشيعي بإخضاع بلاد المغرب الأوسط والأقصى، لأن أهلها لم يدينوا له بالطاعة فخرج أبو عبيد الله في

---

[1]– محمد جمال الدين (سرور)، **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مدينة النصر، ص28.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2006، ص198.

[3]– مدينة كبيرة بتونس على بعد 43 ميلا جنوب شرق سوسة وعلى بعد 66 ميلا شمال شرق صفاقس، ويمثل هذا الموقع قاعدة بحرية هامة للمهدي من أجل تحقيق أهدافه في المستقبل مثل الاستيلاء على مصر والأندلس وسواحل البحر المتوسط، ويبدو تاريخ بناؤها يكون بعد سنة 300هـ/912م، حيث انتقل إليها نهاية سنة 308هـ/920م، وهذا التاريخ ذكره القاضي النعمان، للمزيد ينظر: القاضي النعمان، **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق: فرحات الدشراوي، (تونس الشركة الفرنسية 1970م)، ص275.

[4]– أبو عبيد الله (البكري)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك**، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة–مصر، د.ت، ص29.

298هـ/910م لإخضاع قبائل زناتة جنوب بلاد كتامة، فدخلوا في طاعته وصار يحي منهم من الأموال.[1]

وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لأبي عبيد الله الشيعي، فإن عبيد الله المهدي لم يلبث أن عمل على التخلص منه، لأن عبيد الله كان موضع ثقة كبيرة من الكتاميين، كما علت مكانته بين أهالي بلاد المغرب مما أثار حقد عبيد الله المهدي عليه، فخشي أن يفتتن به الناس فيضعف بذلك نفوذه، لذلك أمر بقتل كل من أبي عبيد الله وأخيه وأبي العباس في جمادى الآخرة سنة 298هـ.[2]

أثار حادث مقتل أبي عبيد الله الشيعي أهالي بلاد المغرب فثارت طرابلس واشتبك الكتاميون مع أهل القيروان، غير أن عبيد الله ما لبث أن تمكن من إخماد تلك الثورات، ثم عهد عبيد الله المهدي إلى ولده أبي القاسم بالخلافة من بعده، وبعثه على رأس حملة لمحاربة الكتاميين الذين عادوا إلى بلادهم وأقاموا طفلا ادعوا أنه المهدي، وزعموا أن أبا عبيد الله لم يمت، فقاتلهم أبو القاسم وأوقع بهم الهزيمة وقتل الطفل الذي ولاه باسم المهدي.[3]

رابعا: سقوط الدولة الفاطمية العبيدية.

اجتمعت العديد من الأسباب والظروف أدت إلى سقوط الدولة العبيدية نذكر منهاما يلي:

1- مقاومة المغاربة الباسلة للمد العبيدي الباطني بقيادة العلماء والفقهاء والمحدثين، مما جعل زعماء الدولة العبيدية يقررون نقل ملكهم وزعامتهم إلى مصر.

2- ظهور القائد الإسلامي الغربي البربري المعز بن باديس الذي أعلن انفصاله السياسي والعسكري والعقدي عن الدولة العبيدية في مصر.

---

[1]- أبو عبيد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، د.ط، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983، ص192.

[2]- تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، د.ط، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة-مصر، 1996، ص93-95.

[3]- **المصدر نفسه**، ص97.

3- صراع الدولة العبيدية مع القرامطة في الشام من أجل الأطماع الدنيوية الأرضية.

4- استعانة العبيديين بالنصارى والأوروبيين للوقوف ضد تقدم السلاجقة في بلاد الشام، ثم غدر النصارى بالعبيديين بعد مجيئهم وخذلانهم للدولة العبيدية في مصر.

5- رفض المصـــريين للمذهب العبيدي الباطني والعمل الجاد من قبل العلماء والفقهاء وأبناء المصري في نخر الدولة العبيدية الباطنية.[1]

6- رجوع الدولة العباســية إلى التمســك بالكتاب والســنة والدعوة إليها، وكانت من أوائل بدايات الرجوع ما قام به الخليفة القادر بالله عام 208هـ/823م، حيث اســتتاب فقهاء المعتزلة فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام.[2]

وامتثل السلطان محمود ابن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك وقام بعقوبة المعتزلة والرافضــة الإســماعيلية وأبدع جميع طوائف أهل البدع والتفاهم عن ديارهم، كما أحرق كتب الفلسفة.[3]

خامسا: شخصية المعز بن باديس الصنهاجي.

سنتطرق إلى حياة المعز بن باديس من خلال استعراض مولده ونشأته وأهم المحطات التاريخية التي مر بها وأهم المواقف التي اتخذها خاصــة فيما تعلق بنصــرته للمذهب الســني ومحاربته للمذهب الشيعي ووقوفه ضد الفاطميين ببلاد المغرب.

1-لمحة تاريخية عن المعز بن باديس: نشأته وحياته ووفاته:

1.1- ولادة المعز بن باديس: ولد بالمنصــورية يوم الخميس خلت من جمادي الأولى ســنة 398هـ/1007م[4]، وذكر ابن خلكان أنه ولد المعز بن باديس بن المنصور ابن يوسف بلكين

---

[1]- علي محمد (الصلابي)، **المرجع السابق**، ص 121.

[2]- ابن الأثير (الجزري)، **الكامل في التاريخ**، ج9، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1987، ص305.

[3]- الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**، ج12، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، د.ب، 1419هـ/1998م، ص 28.

[4]- عبده عبد العزيز (قليقلة)، **البلاط الأدبي للمعز بن باديس دراســة تاريخية أدبية نقدية**، د.ط، الناشــر عمادة شــؤون المكتبات، جمعية الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص29.

بن زيري بن مناد الصنهاجي يوم الخميس 05 جمادى الأولى سنة 398هـ/ 16 جانفي 1008م[1]، أما ابن عذارى فقد ذكر أن مولده كان في سنة 399هـ/1008م، ولم يذكر اليوم والشهر[2]، في حين لم يشر النويري في كتابه تاريخ ميلاد المعز بن باديس، لكن يمكن تحديده من خلال ذكره لعمره أثناء ولايته للعرش، حيث ذكر أنه ولى العرش وله ثمان سنين وسبعة أشهر، وحدث هذا في شهر ذي الحجة سنة 406هـ/ ماي 1016م، وبالتالي فإن تاريخ ميلاده يكون في شهر جمادى الأولى سنة 398هـ/جانفي 1008م.[3]

2.1- حياته: استطاع بعض فقهاء المالكية أن يصلوا إلى ديوان الحكم في دولة صنهاجة وأثروا في بعض الوزراء والأمراء الذين كان لهم الفضل في الضغط على علماء السنة، وأخص بالذكر العلامة أبو الحسن الزجال الذي اجتهد على الأمير المعز بن باديس في تربيته على منهج أهل السنة والجماعة، وأعطت هذه التربية ثمارها بعدما تولى المعز إفريقية، وكان عمل العلامة أبو الحسن في السير بدون أن يعلم به أحد من الشيعة الذين كانت الدولة دولتهم، وكان هذا العالم فاضلا ذا خلق ودين وعقيدة سلمية، ومبغضا للمذهب الإسماعيلي الشيعي، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في نفسية وعقلية وفكر المعز بن باديس الذي تم على يديه القضاء على مذهب الشيعة الإسماعيلية في الشمال الإفريقي.

وهذا درس لنا نحن الدعاة في الاهتمام برحلات الدولة وأبنائهم من أصحاب المناهج العلمانية والبعيدة عن هدى المولى عز وجل، ولتكون شعار العالمين في هذا المجال[4]، قوله تعالى: ﴿...**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[5]، وقد وصف المؤرخون ابن باديس بأوصاف في غاية الروعة

---

[1]- أبي العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر (ابن خلكان)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج1، د.ط، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت، ص233.

[2]- ابن الأثير (الجزري)، **المصدر السابق**، ص88.

[3]- ابن عذارى (المراكشي)، **المصدر السابق**، ص 295.

[4]- علي محمد (الصلابي)، **المرجع السابق**، ص123.

[5]- القرآن الكريم، سورة الكهف، الآيتين 19-20.

والجمال، فقال فيه الذهبي: «وكان ملكا مهيبا، وسريا شجاعا، عالي الهمة محبا للعلم، كتب البذل».[1]

3.1- وفاة المعز بن باديس: لقد بلغت الدولة الزيرية خلال عهد المعز بن باديس أوجها، ولكن الأحوال تغيرت بعد الزحف الهلالي، وقد حمّل البعض المعز مسؤولية ما حصل فيقال من خلال ما سبق حقيقة تتجلى وهي أن المعز قد أخطأ في تقديره للعواقب عندما خلع التبعية للفاطميين، وإن الخطأ قد أدى إلى سقوط البلاد بين أيدي الأعراب والنورمان[2]، وابن أبي دينار في كتابه أن ولاية المعز كانت تسعة وأربعون سنة[3] حضرته المنية سنة 454هـ/1062م حسب ابن خلدون[4]، أما ابن عذارى فقد ذكر أولا نقل عن ابن شرف أن وفاة المعز كانت سنة 455هـ/1063م وكان عمره ثماني وخمسون سنة[5]، والخطأ في هذه الرواية بيّن فكيف يبلغ من العمر ثماني وخمسون سنة وقد ولد سنة 399هـ/1008م وتوفي سنة 455هـ/1063م، ثم عاد ليقول إنه حسب رواية ابن أبي الصلت فإن وفاة المعز كانت سنة 455هـ/1063م وكان عمره ثماني وخمسون سنة[6]، ووافقه ابن الخطيب في رواية ابن أبي الصلت[7]، أما ابن خلكان فقال إن المعز في 4 شعبان سنة 454هـ/12 أوت 1062م[8]، وأما المؤرخ ابن الأثير فقال إن المعز ابن باديس توفي سنة 453هـ/1061م.[9]

---

[1]- شمس الدين محمد بن أحمد (الذهبي)، ج18، **المصدر السابق**، ص140.

[2]- أبي عبد الله (ابن أبي دينار)، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضيرتها المحمية، تونس، 1286م، ص79.

[3]- **المصدر نفسه**، ص102.

[4]- ابن خلدون، ج6، **المصدر السابق**، ص326.

[5]- ابن عذارى (المراكشي)، **المصدر السابق**، ص295.

[6]- **المصدر نفسه**، ص296.

[7]- لسان الدين (ابن الخطيب)، **أعمال الأعلام**، ج2، تحقيق: سيد كسراوي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت، ص77.

[8]- ابن خلكان، **المصدر السابق**، ص 233.

[9]- ابن الأثير، ج8، **المصدر السابق**، ص 354.

-خلاصة.

تعتبر الدولة الفاطمية من أقوى الدول التي حكمت بلاد المغرب، حيث استمرت أكثر من ثلاثة قرون، وكان قيامها على يد أبي عبيد الله المهدي أول خليفة لها بمساعدة الدعاة الإسماعيلية، حيث ثبتت دعائم حكمها متخذة من نشر المذهب الشيعي والتضييق على المذهب السني مبدأ رئيسيا، وسقطت نتيجة عدة عوامل لعل من أهمها ظهور شخصية المعز بن باديس، الذي استطاع الوقوف في وجهها وإعادة الإعتبار للمذهب السني المالكي وأتباعه.

الفصل الأول

الانفصال السياسي للمعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية

أولا: أوضاع المغرب بعد تولي المعز ابن باديس الحكم

ثانيا: التسلسل الزمني لأحداث انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية بإفريقية

ثالثا: المعز بن باديس يقاطع الفاطميين ويعلن ولائه للدولة العباسية

-تمهيد:

شهد المغرب الإسلامي حركية سياسية ودينية وثقافية خلال القرن الخامس الهجري خاصة بعد ظهور الدولة الزيرية التي أدت لازدهار المغرب في عهد المعز بن باديس، والذي كان من أصحاب المذهب السني ليجد نفسه في مواجهة المذهب العبيدي التي ظهر بعد حركية كانت سائدة في بلاد المشرق لتنتقل إلى بلاد المغرب هروبا من الدولة العباسية وسيطرتها، ولتجد الدعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي أرضا خصبة بفعل حب المغاربة لآل البيت ونشاط الدعاة الإسماعيلية، غير أنه حملت الدعوة الفاطمية أفكار غير التي كان عليها أهل المغرب الإسلامي، فالفاطميون كانوا شيعة إسماعيلية وأهل المغرب كانوا سنة مالكية، وهذا الاختلاف أدى لظهور صراع سياسي في عهد المعز ابن باديس الصنهاجي مخلفا للعبيديين نتائج ومن أبرزها انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية ونهاية الوجود الفاطمي ببلاد المغرب ونصرة المذهب السني.

أولا: أوضاع المغرب بعد تولي المعز ابن باديس الحكم.

أ- **ولاية المعز ابن باديس:** قام الحاكم باديس ابن منصـــور قبل وفاته بتولية الحكم لابنه ولقبه الحاكم بأمر الله بعزيز الدولة، وقرأ ســجله لذلك، ويضــيف إليه أعمالا يســتخدم فيها ضــائعة[1]، تولى المعز ابن باديس الحكم عام 361هـ/971م خلفا لأبيه باديس ابن منصــور وعمره ثمان سنوات ودام حكمه حتى عام 453هـ/1061م، توفي المنصور عزيز الدولة وولاه المعز ابن باديس، حيث كان في طريقه إلى المهدية تعرض لحمى وظهر به جدري، فأقام سبعة عشرة يوما وتوفي، كتم أمر وفاته عن مصير الدولة خوفا من أن يبدو من جزع، فبلغ خبره إبراهيم وحمادا فبعث إليه، وقال له: «إن والدك، الذي طلبت له ما طلب، قد توفي» فما أضــعفه ذلك ولا أوهنه، وكتب إلى السـيدة يسـألها عن ذلك فورد كتابها بوفاته والتعزية عنه، وكان الصـبر هو حال مصـير الدولة[2]، وقد جلس مجلسـا عاما للعزاء، وكان يهون على كل جازع، فزاد ذلك سرورا لأوليائه.[3]

بعد وفاة باديس ابن منصور المفاجئة أثناء حربه مع حماد، قام الخادم بإعلام كل من حبيب ابن أبي ســعيد وباديس ابن حمامة وأيوب ابن يطوفت، فاجتمع رأيهم على توليه كرامة ظاهرا، فإن وصلوا إلى موضع الأمن قدموا المعز ابن باديس وينقطع الخلاف وتصان بيوت الأموال، فأحضروا رحلة العساكر المحمدية بعد أن أضرموا النار في الأبنية والبيوت[4]، وكان وصول العساكر إلى مدينة المهدية يوم 08 محرم 407هـ/ 16 جوان 1016م.[5]

---

[1] – لســان الدين (ابن الخطيب)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الأعيان، ج1، ط2، دار النشــر مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، د.ت، ص 248.

[2] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 261.

[3] – **المصدر نفسه**، ص268.

[4] – **المصدر نفسه**، ص 268.

[5] – شـهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيمي، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص112.

ووصـــل العســـاكر على بابها وركب المعز ونزل إليه الناس فوجا فوجا حتى كمل ســـلامهم، وقام المعز يســـأل عن أحوالهم فرأى الناس من لطفه ما ملأ قلوبهم[1]، وقد دخل المعز المنصـورية منتصـف محرم سـنة 407هـــ/ 22 جوان 1016م[2]، وإن دخول المعز المنصـــورية يمثل دخول العاصـــمة وبداية توليه الحكم للدولة الزيرية الصـــنهاجية بالمغرب، وكان ذلك 15 محرم 407هـ/22 جوان 1016م، وقد سُرَّ به العام والخاص.[3]

وفي يوم 20 صفر 407هـ/28 جويلية 1016م عين المعز على رأس الجيش وإدارة البلد محمد بن الحســن الذي كان واليا على طرابلس وأضــاف إليه قابس ونفزاوة[4] وقســطيلية وقفصة.[5]

ب- صـــراع المعز ابن باديس مع قبيلة زناتة: قام المعز ابن باديس إلى التصـــدي لبعض القبائل البربرية ومن بين هذه القبائل قبيلة زناتة التي أصـــبحت تشـــكل خطرا في الجنوب الشـرقي من البلد[6]، وتميزت العلاقة بين زناتة وصـنهاجة بالحروب والفتن منذ عهد بلكين بن زيري إلى غاية عهد المعز ابن باديس، ولم تســـتطع الدولة أن توقف ثورات الزناتيين ويرجع السـبب في ذلك إلى قبائل زناتة التي لا تعرف للدولة معنى، بالإضـافة إلى أنها قبائل رعوية تسعى للحرية السياسية وعدم الخضوع لسلطان الدولة وتعتمد على التنقل والترحال[7]، وقد جاء

---

[1] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ج24، ص112.

[2] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 267.

[3] – **المصدر نفسه**، ص268.

[4] – نفزاوة بكسر على السكون والزاي، وبعد الألف واو مفتوحة، مدينة من أعمال إفريقية، ولمدينة نفزاوة سور سخري ولها ستة أبواب فيها جامع وحمام وأسواق حافلة وهي كثيرة النخل والثمار، وفيها عيون كثيرة، للمزيد أنظر: شهاب الدين أبي عبد الله (ياقوت الحموي)، معجم البلدان، ج5، د.ط، دار صابر، بيروت–لبنان، 1397هـ/1977م، ص269.

[5] – وهي بلدة صـغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزب الكبير تبعد عن القيروان بثلاثة أيام، وفي سـور يشـمل على ينبوعين للماء أحدهما يسـمى الطرميذ والآخر ذا الماء الكبير، شـهاب الدين أبي عبد الله (ياقوت الحموي)، **المصدر نفسه**، ج4، ص382.

[6] – إدريس (روجي)، **الدولة الصـنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشـر إلى القرن الثاني عشـر ميلادي**، تحقيق: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1992، ص197.

[7] – عبد الحميد (سـعد زغلول)، **تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصـنهاجيون إلى قيام المرابطين**، ج3، د.ط، منشأة المعارف، القاهرة–مصر، د.ت، ص394.

على لسان زاوي بن مناد قول يعبر فيه عن العداوة بين زناتة وصنهاجة حن قال: «إن زناتة هم الأعداء لنا في الحقيقة الذين لا يغفلون عنا وإن غفلت الخليقة».[1]

ولقد ذكر ابن خلدون الحروب بين الفريقين فقال فيها: «وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغرب في جميعها كما هو مذكور»[2]، ولقد تمكن المعز ابن باديس من خلال قدرته على بسط نفوذه على الأراضي التي كانت تحت سيطرته خاصة عندما تمكن من إبرام الصلح مع عمه حماد، ولم يكن من الصعب على المعز أن يقوم بقمع جميع الثورات والانتفاضات الداخلية التي كانت تأخذ صبغة عرقية أو جهوية، وحدثت ثورات زناتية في السنوات الأولى من حكم المعز، حيث كانت أول واقعة في 411هـ/1020م، وفيها أغارت زناتة بإفريقية على دواب المعز ابن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج إليهم عامل مدينة قابس فهزمهم.[3]

أول عصيان ظهر من زناتة سنة 413هـ/1022م والتي دخلها العرب وتتميز بكثرة مراعيها، وقد قام المعز بإبادتها وهذه الفترة من الزمن شهدت مقتل وزير الأمير محمد بن الحسن عامل طرابلس الذي استعمل زناتة واستعان بهم للعداوة بينهم وبين الصنهاجيين، وقد قتل كل من كان بهم من الصنهاجيين وأخذ المدينة، وبعد هذا الحدث قام المعز ابن باديس بالقبض على بن محمد، بعد أن استغاثت به نساء الصنهاجيين بعد أن قتل أزواجهم بطرابلس[4]، وفي سنة 418هـ/1027م وردت رسل من زناتة وكتامة إلى المعز ابن باديس يطلبون منه الصلح وأن يقبل منهم الدخول تحت حكمه بشرط أنهم يحفظون الطريق وأعطوا على ذلك عهودهم فأجابهم، وجاء مشيخة زناتة وكتامة وقابلوهم[5]، في سنة 432هـ/1040م خالف أولاد حماد على المعز وعادوا إلى العصيان ليحاصر المعز ابن باديس القلعة نحو

[1] – علي ابن بسام (الشنتريني)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ط1، دار الثقافة، بيروت–لبنان، د.ت، ص438.

[2] – عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ج6، ص 325.

[3] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص133.

[4] – شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (النوري)، **المصدر السابق**، ج24، ص116.

[5] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص157.

السنتين[1]، وكان حصار المعز قائد بني حماد في القلعة سنة 434هـ/1042م، ودام مدة طويلة وأرجع القائد المعز طاعته للعبيديين ليلقب المعز ابن باديس بشرف الدولة.[2]

ج-الصراعات الداخلية والإقليمية بالمغرب الإسلامي: شهد عهد المعز ابن باديس في بلاد المغرب مشاكل داخلية وصراعات إقليمية وتنوعت مصادر هذه المشاكل، مما أدى لتعكير حالة الأمن والاستقرار بالمنطقة قبل غزو الأعراب.

شهدت بلاد المغرب الإسلامي حروب كثيرة سنة 409هـ/1018م، وفي سنة 411هـ/1020م جاءت سحابة شديدة الرعد، فأمطرت حجرا لم ير أهل إفريقية مثله كبرا وكثرة[3]، حيث خلّفت هذه الكارثة خسائر مادية، وثارت العامة في القيروان لتقع بينهم وبين الجنود حروبا أسفرت عن قتل الكثير من العامة سنة 421هـ/1029م.[4]

وقد حلت بإفريقية مجاعة كبيرة سنة 425هـ/1033م بالإضافة إلى الوباء الذي أصاب البوادي والحواضر وفناء كثير من السكان بإفريقية، وكان من جميل عمل أم يوسف زليخاء وكريم خاصا لها أن تصدقت على موتى الفقراء والمعوزين بستين ألف كفن احتسابا لوجه الله تعالى.[5]

وكانت سنة 425هـ/1033م من أشد السنوات قساوة على سكان إفريقية في عهد الأمير المعز ابن باديس الصنهاجي وخرج الأمير من القيروان إلى الزاب وقتل الكثير من البربر، وهاجم جزيرة جربة وفتحها ووردت رسل من المعز إلى القيروان في سنة 437هـ/1045م يخبر أنه أوقع بلواته، وقتل عدد منهم وغنم منهم أموال، فضربت الطبول على ذلك[6]، وقد امتدت الاضطرابات لمناطق مختلفة من المغرب وصولا إلى منطقة تلكامة،

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص118.

[2] – عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ج6، ص353.

[3] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص270.

[4] – **المصدر نفسه**، ص275.

[5] – عبد الوهاب (حسن حسني)، **شهيرات التونسيات**، د.ط، المطبعة التونسية، تونس، 1353هـ، ص05.

[6] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 276.

ولتقوم حروب طائفية بين مجموعة كبيرة من قبائلها، وهذه الحروب أسفرت على وقوع العديد من القتلى.[1]

وولى المعز ابن باديس ابنه تميما على مدينة المهدية سنة 445هـ/1053م وهي نفس السنة التي ثار فيها أهل سوسة وخرجوا عن طاعة السلطان[2]، وقد قام المعز ابن باديس إلى بعث أسطول ضخم ووصل إلى سوسة وأحرق ما فيها من المراكب كما وجه جيشا فيه مائة فارس لحصار سوسة فخرج أهل سوسة بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأعراب فأخذوهم إلى المدينة وقاتلوهم بسيوفهم ووضعوا رؤوسهم على أسوار المدينة، قال ابن شرف: «أخبرني من شاهدها أن عدتها نيف وخمسون رأسا».[3]

شهدت هذه الفترة من الزمن نزاعات وصراعات داخلية شارك فيها حتى العبيد أدت لقيام فوضى وفتن في مناطق مختلفة مثل المهدية وزويلة فقتل الكثير من السكان، ولم يتمكن المعز ابن باديس احتواء الوضع لتتوسع الاضطرابات بين مختلف المناطق.

وقد تأثر المعز بما يجري في الأندلس وادعاء ملوكها الخلافة، وقد جاء على لسان ابن حزم في رسالته نقط العروس عندما تكلم على من أرادوا تولي الخلافة ومنعهم المعز، وأراد ذلك فكرة إليه للفقيه أبو عمران ذلك، وبين أن الخلافة لا تجوز إلا في قريش موطن الرسالة المحمدية فقال: «إنك إنما تريد بهذا الشقاق والارتفاع عن المسألة، وهذا لا يتم لك، لأنك إذا افتتحت هذا الباب تسمى بها كل من أردت التفوق عليه فبطل ما اختصصت به وهان هذا الأمر ولم تفد شيئا»، فسمع المعز ذلك وترك له التصرف كما يريد.[4]

---

[1] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص133.

[2] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 276.

[3] – محمد بن محمد (الأندلسي)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1985، ص286.

[4] – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ابن حزم الأندلسي)، **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق: إحسان عباس، ج2، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987، ص88.

وصقلية التي ساءت أحوالها حيث استولى عليها الفرنج، وكانت صقلية أميرها أبا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسن، والذي ولاها عليه العزيز العلوي صاحب مصر وإفريقية، وقد كان المعز يتدخل في شؤون صقلية أحيانا، حيث سار جمع من أهل صقلية إلى المعز ابن باديس وشكوا إليه ما حل بهم فسارت إليها جماعة سنة 427هـ/1035م فصرّ معهم ولده عبد الله في عسر فدخل المدينة وحصر الأحكام، وليختلف أهل صقلية بعدها وقرر بعضهم نصرة الأكحل فقلته الذين أحضروا عبد الله ابن جعفر كما عزموا على حرب ضد جيش المعز فاجتمعوا فزحفوا إليهم لتنتهي المعركة بانهزام عساكر المعز وقتلوا منهم ثمانمائة رجل ورجعوا في مراكب إلى إفريقية.[1]

قبل القطيعة مع الفاطميين تخللت بلاد المغرب والمشرق مجموعة من الأحداث الدامية ساهمت في بروز مجموعة من العوامل، والانفصال عن الدولة الفاطمية كان أمرا ضروريا في عهد المعز.[2]

د-ازدهار الدولة الزيرية في عهد المعز ابن باديس: لقد شهدت إفريقية في عهد الأمراء الصنهاجيين وخاصة فترة المعز ابن باديس الصنهاجي تطورا وازدهارا لا مثيل له في شتى المجلات، وهذا نتيجة للجهد الكبير الذي قام به الأمراء الصنهاجيون من أجل الوصول للتمدن الإسلامي، وقد توفرت مجموعة من الأسباب المساعدة للوصول للرقي، وشهدت تطور لا مثيل له في الجانب الزراعي لتطور الري العام الذي أحيا الأراضي بعد موتها، لتصبح إفريقية مورد زراعي هام للمشرق والمغرب، وظهرت الصناعة في الكثير من الحواضر ومن أهم المنتوجات الصناعية الزرابي والحرير والمنسوجات الصوفية الزجاجية، حيث بلغ مدخول التجارة في عهد المعز ابن باديس ما يقارب أربعمائة ألف دينار، لتظهر الرفاهية عند السكان والنمو في الدخل والثروة، كما أقبل الكثير من السكان على العلوم

[1] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص474.

[2] – فرحات (الدشراوي)، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، تحقيق: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994، ص32.

لتزدهر الحركة الأدبية أيضـــا ويظهر مجموعة كبيرة من الفقهاء والعلماء الأجلاء وببروز النهضة الفكرية بالمنطقة وشجع الأمراء الصنهاجيين الحركات العلمية، كما لم يهمل تسيير مصالح البلد العامة، كما قاموا بإنشاء القصور البهيجة والتي كانت تشبه إلى حد بعيد ما أنشـــأه مســـلمو الأندلس[1]، وقد ازدهرت الحياة الفكرية في عهد المعز وتجلى ذلك في بروز مجموعة من العلماء وطلبة العلم والفقهاء ومنهم أبو بكر عتيق الســـوس الذي جمع العلم والعبادة والزهد، كما كان حافظا للفقه والحديث، عالما بالنحو واللغة، وكانت له مكانة كبيرة عند المعز ابن باديس حيث بعث إليه بمال ليشتري به دار فقال أبو بكر للرسول: «ما كان أغناني عن الصلاة على أبي عمران أربابها تصدق بها على الفقراء، فأعلم الرسول المعز بما قال، كما قام المعز يبعث إليه كنية جليلة مثل المدونة وغيرها، فلما وصل إليه الرسول أغلق الباب في وجهه فلم يزل يلاطفه ويقول له: يقول لك المعز هذه الكتب في خزائنها ضـــائعة وأنت أولى بها».[2]

ثانيا: التسلسل الزمني لأحداث انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية بإفريقية.

أ-أحداث 407هـــــ/1016م: لقد ارتبطت فترة تولي المعز ابن باديس الحكم مع أحداث الفوضى ببلاد المغرب وإفريقية والسبب في ذلك هو تقتيل الشيعة لا سيما في مدينة القيروان، وكانت بداية هذه الأحداث بعد جولة قام بها المعز ابن باديس إلى القيروان والناس يســـلمون عليه، فمر بجماعة فسأل عنهم: «فقيل له: هؤلاء رافضية يسبون أبا بكر وعمر، فقال رضي الله عن أبي بكر وعمر»[3]، فسـمعته الشـيعة فبادروا إليه ليقتلوه، ففاجئهم عبيدة ورجاله ومن كان يكتم المذهب السني من أهل القيروان، فدار صراع بينهم فقتل ما يقارب ثلاث آلاف من

[1] – عبد الوهاب (حسن حسني)، **خلاصة تاريخ تونس**، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص ص109-110.

[2] – أبو زيد عبد الرحمن بن محم الأنصاري (الدباغ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيران**، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005، ص181.

[3] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص114.

الشيعة، فسميت تلك المنطقة بركة الدم[1]، ولقد كان لشخصية ابن أبي الرجاي دورا كبيرا في تعليم المعز ابن باديس السنة وحب الصحابة، حيث كان أبي الرجال ورعا زاهدا.

وقتل الرافضـــية منهم خلقا كثير في ديارهم وحوانيتهم، كما نهبت ديارهم وأموالهم وشـــملت عملية التقتيل هذه كل أنحاء المغرب في عهد المعز ابن باديس في المدن والقرى، وحتى مدينة المهدية التي بناها عبيد الله لم تسلم من عملية البطش العامة بالشيعة، والناجون منهم لجأوا للاختباء بجامعها الذي بالحصن فقتلوا فيه عن آخرهم[2]، وقتل أيضا الشيعة بمدينة طرابلس، وقد جهر الســـنة بمذهبهم ومارســـوا شـــعائرهم بحرية وكان من أبرز علمائها ابن النمر[3]، وهو من أشد أعداء الشيعة ولما ظهر مذهب الشيعة أتباع عبيد الله الشيعي وانتشرت دعوتهم ومنعوا صـــلاة التراويح وأحدثوا العديد من التغيرات كتغيير في الآذان "حي على خير العمل"، وكان العالم أبو الحســـن أول من نادى ببطلان مذهب الشـــيعة وقد ثار في طرابلس على الشيعة وأعلن ثورة ضـدهم ليقتل الكثير من أهل الشـيعة، كما نادى بإبطال عبارة "حيّا على خير العمل" من الآذان، كما أمر بصـــلاة التراويح في رمضـــان وقام بالصـــلاة في طرابلس، وأعاد الكثير من العادات التي أبطلها الشيعة من الدين والسنة.[4]

والحاكم بأمر الله العبيدي لما وصلته هذه الأحداث بالمغرب ضد الشيعة أرسل إلى المعز ابن باديس رسولا يسأله عنها فكان جوابه هو إلقاء مسؤولية ما يحصل على العامة.[5]

ب-أحداث سنة 409هـ/1018م: استمرت عملية طرد الشيعة ولم تتوقف عند سنة 407هـ/1016م رغم أنها خفت بعد أن قضي بشكل كبير على الطوائف الشيعية لا سيما في العاصـــمة المهدية التي كانت تمثل مركز الدولة العبيدية التي بناها عبيد الله الشـــيعي، ففي سنة 409هـ/1018م خرج جمع كبير من الشيعة وكان عددهم يقارب مائة فارس يريدون

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 274.

[2] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ج24، ص112.

[3] – طاهر (أحمد الزاوي)، **أعلام ليبيا**، ط1، دار المدار الإسلامي، مكتبة الفرجاني، 1961، ص ص 216-217.

[4] – Marçais (G), Arabes en Berbérie du XI au XIV Siècle, Ernest Leroux, paris, p58.

[5] – مصطفى (غالب)، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، ط2، دار الأندلس، بيروت-لبنان، د.ت، ص27.

الذهاب لصقلية، وعند وصولهم إلى قرية كامل هاجمهم أهل المنازل فقتلوهم[1]، وقد جاء في كتاب ابن رشيق نموذج الزمان في شعراء القيروان ذكر للشعراء الروافض الشيعة، غير أن ابن رشيق من المعاصرين لما جرى من أحداث بين السنة والشيعة في عهد المعز، وقد خرج مجموعة من الشعراء الروافض مع أهل بيتهم مع مدينة باغايا وقتلوا ومن بين هؤلاء الشعراء الذين ذكرهم ابن رشيق في كتابه، ميمون بن عبد الله الهواري، حيث كان متشيعا شديد المبالغة في الدين، وانفراد لنشره أبو بكر الوراق وفيه يقول:

كره المذاهب وانتحل دين المسالمة السفل

ابن التي في فرجها بين الشفاشق والحمل.[2]

وحتى قصر المنصور لم يكن ملاذا آمنا، حيث تحصنوا به فحاصرهم العامة وضيقوا عليهم وكان ذلك في 12 جمادى الأولى 407هـ/16 أكتوبر 1016م ليخرج من بقي من المشارقة إلى قصر المنصور بظاهر المنصورية، فحاصرهم السنة، فاشتد عليهم الجوع فتقابلوا يخرجون الناس ويحرقونهم ويقاتلونهم إلى أن قتلوا كلهم، وكانت الشيعة تسمى بالمغرب بالمشارقة نسبة إلى عبيد الله الشيعي[3]، وقد تم هدم دار الإسماعيلية في 407هـ/1016م، وكان يمثل مكان معد لانعقاد الاجتماعات الشيعية أو مركز للدراسة والرعاية مماثل لبيت الحكمة الأغلبي الشهير[4]، وقد اجتمعت الكثير من المصادر على أن المعز ابن باديس هو السبب الرئيسي في هذه الجرائم، وقد ذكر أنه دعا الناس بالسر، وشجعهم في القضاء على العناصر الشيعية بإفريقية والمغرب.[5]

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 269.

[2] – حسن بن رشيق (القيرواني)، **نموذج الزمان في شعراء القيروان**، تحقيق: محمد العروسي المطوي، بيشر بكوش، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ/1986م، ص419.

[3] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص114.

[4] – إدريس الهادي (روجي)، **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**، حققه: حمادي الساحلي، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1992، ص358.

[5] – تامر (عارف)، **تاريخ الإسماعيلية، الدولة الفاطمية الكبيرة**، ج3، ط1، شبكة كثير الشيعية، لندن، قبرص، 1991، ص125.

كما كان للعلماء دور فعال فيما يجري، وهذا ما يؤكد على أنه اجتمعت مجموعة من القوى لمحاربة المذهب الشيعي ومساندة المذهب السني، كما كان لمدينة القيروان مشاركة إيجابية في تقوية العزائم.[1]

ج-أحداث سنة 423هـ/1031م: لقد تم القضاء على الشيعة الإسماعيلية في بلاد المغرب وإفريقية بشكل تدريجي وفي مراحل مختلفة أثناء الحكم الزيري، لتشهد بلاد المغرب مجازر واسعة في حق الطوائف الشيعية المنحرفة عن المذهب السني، وبحلول سنة 423هـ/1031م شهدت بلاد المغرب عمليات تقتيل جماعية.

وقد اجتمع أناس كثيرون من الشيعة بإفريقية وساروا إلى أعمال نفطة، فاستولوا على بلد منها وسكنوا بها، وليقوم المعز ابن باديس بعملية عسكرية ضدهم وقام بقتلهم ليس لأن مذهبهم شيعي وإنما لكونهم يقومون بالفساد والخراب.[2]

ويمكن أن نقول أن الصراع بين السنة والشيعة كانت عبارة عن أعمال انتقامية بالدرجة الأولى، وهذا يوضح تسلسل المقاومة الشعبية للمذهب الإسماعيلي الفاطمي منذ بداية عهد المعز ابن باديس في فترات مختلفة بإشراف من رجال الدولة والمسؤولين من: الوصية أم ملال عمة المعز إلى الوزير ابن أبي الرجال، وعامل الخراج أبي اليهار، والوزير محمد ابن الحسن.[3]

ونتيجة لمجموعة الأحداث في إفريقية والمغرب والقتل الواسع للفاطميين الشيعة تأتي فترة حسم العلاقات بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان والمهدية وقطعها بشكل نهائي، وجاءت مجموعة من الروايات حول هذا الموضوع على مدى ثمانية أعوام، ما بين سنة 435هـ/1043م، وسنة 443هـ/1051م، وقطع أسماء الفاطميين من الطرز والزوايا سنة 437هـ/1045م مع مبايعة القائم.

---

[1] – محمد (لعروسي المطوي)، **سيرة القيروان رسالتها الثقافية في المغرب الإسلامي**، د.ط، دار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص35.

[2] – أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص204.

[3] – عبد الحميد (سعد زغلول)، **المرجع السابق**، ج3، ص 392.

ثالثا: المعز بن باديس يقاطع الفاطميين ويعلن ولائه للدولة العباسية.

أ-الأوضاع بالمغرب والمشرق قبل القطيعة مع الفاطميين: بعد وفاة الخليفة العبيدي الظاهر تولى الحكم ابنه المستنصر أبو تميم معد سنة 427هـ/1035م، ولم يتولى تسيير السلطة بيده بل قامت أمه بتوليها في بادئ الأمر، وفي هذه الفترة ظهرت أزمات سياسية واقتصادية، انتقلت السلطة بعدها إلى يد أمير الجيوش بدر الجمالي وأورثها لذريته من بعده، ومن هنا يمكن تقسيم عهد المستنصر لمرحلتين: الفترة الأولى تمتد من سنة 427هـ إلى سنة 450هـ، وتمتاز بعظمة الخلافة الفاطمية في مصر، والفترة الثانية من خلافة المستنصر تمتد من سنة 450هـ إلى سنة478هـ.[1]

وفي هذه الفترة برزت شخصية الوزير أبي القاسم الجرجائي الذي سيطر على الدولة ووضع علامات ترقيم الأوراق الرسمية واستطاع أن ينهي أطماع المستنصر وكل من يرغب في الاستحواذ على السلطة.[2]

كما شهدت الخلافة الفاطمية مشاكل عديدة كالمجاعات والاشتباكات العسكرية بين الأتراك والمغاربة والسود، كما بدأ نفوذ الخلافة الفاطمية في التراجع، حيث فقد حلب[3]، فقد تأزم وضع الدولة الفاطمية وأصبحت أقرب إلى التفكك، لتظهر في إفريقية مملكة بني زيري التابعة للقاهرة وكان حكامها من الصنهاجيين وهم أربعة حكام، ومن أبرزهم المعز ابن باديس الذي كان السبب في الانفصال عن الفاطميين، كما كان السبب في هجرة العرب الرحالة إلى إفريقية.

---

[1] – أحمد مختار (العبادي)، **التاريخ العباسي والفاطمي**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، د.ت، ص299.

[2] – تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان ابن الصرفي (أمين الدين)، «**الإشارة إلى من نال الوزارة**»، تحقيق: عبد الله مخلص، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، العدد الخامس والعشرون، المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة–مصر، 192هـ، ص86.

[3] – جورج (مارسيه)، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، د.ط، الإسكندرية–مصر، 1999، ص181.

أما في المشرق فتميزت الأوضاع بضعف الدولة العباسية منذ بداية العصر العباسي الثاني (334هـــــ/946م)، حيث انتقلت الدولة من مركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم ونشـــأت مجتمعات جديدة شـــاركت في الحكم، وفقد الخلفاء الاحترام الذي كانوا يتمتعون به الخلفاء العباســيين الأوائل، ويعود هذا التغير للظروف الاجتماعية والســياســية، وظهر في الدولة العباسـية ظاهرة التجزئة ونتج عنها ظاهرتان متعاكسـتان، الأولى تسـعى إلى التركيز على السـلطة والإبقاء على الوحدة، والثانية تعمل على الانفصـال الإقليمي مسـتغلة أوضـاع الشعوب المتدهورة، لتقام بعد هذا الدولة الانفصالية.[1]

وليظهر البويهيون[2] على مسرح الأحداث مما أدى لوصول السلطة العباسية إلى أدنى درجاتها، ويصـــبح الفاطميون بين البويهيين والعباســـيين، حيث دخل البويهيون إلى بغداد حاملين روح العداء والقطيعة للخلافة العباســـية ذات المذهب المخالف لهم، وقد فكر معز الدولة في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية وتنصيب أحد الزيريين، وكانت العراق محطة الفاطميين، كما ظهرت غارات بيزنطية متكررة على الأراضي المجاورة للدولة العباسية والفاطمية، مما أدى للتقارب بينهما لأن العدو مشترك.

ب-العلاقة بين المغرب الإســـلامي ومصـــر قبل القطيعة: تميزت العلاقة بين الفاطميين والزيريين بعلاقة سطحية، فرغم أحداث سنة 407هـ/1016م الدامية التي كانت ضد الشيعة في بلاد المغرب، والتي لم يكن لها تأثير كبير في العلاقة بينهما.

بعد تولي المعز ابن باديس الحكم في 407هـــــ/1016م، وصـــلت مجموعة من التشريفات والهدايا، حيث قام القاسم بن حمود ببعث خمسة أعلام منسوجة بالذهب، كما بعث

---

[1] – محمد سـهيل (طقوش)، **تاريخ الفاطميين في شـمال إفريقية ومصـر وبلاد الشـام**، ط2، دار النفائس، بيروت-لبنان، 2007، ص176.

[2] – ويعود الأصـل الحقيقي للبويهيين من الديلم شـمال غرب إيران، حيث توجهوا إلى بغداد سـنة 334-447هـــ/945-1055م بقيادة أحمد بن بويه، ولقبه معز الدولة وأخاه الحسن بركن الدولة، وشهدت هذه الفترة فتن طائفية وانتشار الفوضى، وانهيار البيت البويهي أيام الملك الرحيم ابن أبي كليجار، وانتهت دولتهم في بغداد على يد السـلاجقة. مصـطفى (شـاكر)، **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1993، ص671.

أبو القاسم ابن اليزيد رسولا من الحاكم إليه بسيف من الجوهر ومنحه لباس لم ير الناس مثله، كما لقب المعز ابن باديس بشرف الدولة[1]، لم تكن أيام الظاهر[2] بأحسن حال من أيام أبيه الحاكم[3]، حيث اتبع سياسة أبيه في التعامل مع الزيريين، وقد وصله من طرف محمد بن عبد العزيز تشريف ولقبه بشرف الدولة، وبعث إليه ثلاثة أفراس، كما بعث الظاهر رسولا إلى بلاد إفريقية وتحديدا لمدينة المنصورية، ومعه تشريف جليل لشرف الدولة أبي تميم المعز ابن باديس، وثلاثة فروس بسروج ثقيلة، كما منحه سجل عشرين بندا مذهبة، وسجل لقب فيه بشرف الدولة وعضدها، فتلقاه المعز ابن باديس وقرأ السجل بجامع القيروان.[4]

وفي نفس السنة وصله سجل آخر بزيادة لقب آخر، وأمر أن يكاتب من الأمير شرف الدولة وعضدها وتم ذلك بتشريف جليل.[5]

وفي سنة 417هـ/1026م، زاد منسوب مياه نهر النيل فغرقت القرى وفيها سقط الظاهر عن فرس، وأرجف بموته ثم نجى من الموت ليتصدق بمائة ألف دينار موجهة للمدينة ومكة، وإلى بلاد الشام عشرون ألف دينار، وأما بلاد المغرب عشرون ألف دينار[6]، كما قام المعز ابن باديس بمنح هدية للظاهر وفيها عشرون جارية لم ير كحسنهن، وثلاثة أفراس، وفيها كميات من الذهب بداخل سرجها، وسرج يحمل لؤلؤ، وسرج مملوء بالفضة، بالإضافة لعشرين خادما من السود، وثياب من أجود قماش سوسة وصقلية، فقبل الظاهر

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 269.

[2] – ولد بمصر سنة 395هـ/1004م، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه الحاكم سنة 411هـ/1020م، وقد طرد أهل السنة والفقهاء المالكيين من مصر، توفي الظاهر سنة 427هـ/1035م، للمزيد أنظر: أحمد بن يوسف (الفرماني)، **أخبار الدول**، ج2، ط2، دار الكتب اللبناني، بيروت–لبنان، 1989، ص241.

[3] – أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب بن حفص عمر الدمشقي (ابن الكثير)، **البداية والنهاية**، ج12، د.ط، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ص17.

[4] – تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المصدر السابق**، ج2، ص132.

[5] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 271.

[6] – تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المصدر السابق**، ج2، ص175.

هدايا المعز ابن باديس، وبعث إليه بهدية من دق تنس وطرائف الهند واليمن، وأشياء عظيمة.[1]

ج- القطيعة مع الفاطميين والولاء للخلافة العباسية: إن الدراسات التاريخية للمؤرخين والمتعلقة بتاريخ الانفصال الفعلي للمعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية وولائه للخلافة العباسية فيه اختلاف كبير من مؤرخ لآخر، وقد يذكر المؤرخ الواحد رأيين حول الانفصال، وسنعرض أهم الآراء التي وردت في مجموعة الأقوال للمؤرخين:

- **القول الأول:** ويعتبر أول قول جاء على لسان ابن عذارى المراكشي بأنه في سنة 433هـ/1041م أظهر معز الدولة العباسية وورد عليه عهد القائم بأمر الله، وفيها نكب محمد بن محمود بن السكاك، وكان هو القائم بأشغال أم المعز، واستولى به على الدولة.[2]

- **القول الثاني:** وحسب ابن الأثير فإن سنة 435هـ/1043م هي التاريخ الفعلي للقطيعة بين المعز والفاطميين حيث يقول: « في هذه السنة أظهر المعز ببلاد إفريقية الدعاء للولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله أمير المءمنين ووردت عليه الخِلعُ والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه...وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم»[3]

وبذلك أصبح المعز ابن باديس ولي أمير المؤمنين بولاية المغرب كلها، ليرسل له أمير المؤمنين سبق وفرس وأعلام عن طريق القسطنطينية[4]، فوصل يوم الجمعة وخطب ابن الفكات على المنبر وخطب خطبة ثانية، وقال: «هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لي ولكم»، ولتحرق أعلام العلويين وتقطع الخطبة.[5]

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص177.

[2] - أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص 276.

[3] - أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص ص 265-266.

[4] - هي منطقة تقع في مضيق البوسفور، تتميز بكثرة حصونها وتشغل في الوقت الحالي جانبا من شبه جزيرة في بحر مرمرة عاصمة الإمبراطورية الرومانية، للمزيد أنظر: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (الحموي الروجي البغدادي)، **معجم البلدان**، ج4، د.ط، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت، ص347.

[5] - أبي الحسن علي ابن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ج8، ص277.

- **القول الثالث:** وقد جاء على لسان ابن خلدون أن المعز ابن باديس قطع أسماء بني عبيد من الطرز، وهذا كدليل على انفصـــال الدولة الفاطمية، وقام بمبايعة القائم العباســـي في 437هـ/1045م، وقام يبعث البيعة إلى بغداد وتم هذا في عهد اليازوري.[1]

- **القول الرابع:** وجاء على لسان ابن عذارى المراكشي وصفا لمظاهر الانفصال عن الدولة الفاطمية، وذلك في سنة 440هـ/1048مـ قال: «وقد قطعت الخطبة لصاحب مصر وأحرقت كل بنوده»، وقال ابن الشـــرف: «وأمر المعز ابن باديس أن يدعى على المنابر بإفريقية للعباس ابن عبد المطلب ويقطع دعوة الشـــيعة العبيديين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة وللعباس وللبقية العشـرة، كما جاء على لســان ابن شـرف أن المعز أمر بلعن العبيديين في الخطب وخلعهم، ولما كان عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسب بني عبيد، فقال: اللهم والعن الفسقة الكبار، المارقين الفجار، أعداء الدين، وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك، المتبعين غير سـبيلك، المبدلين لكتابك، اللهم والعنهم لعنا وبيلا» وإن سـيدنا أبا تميم المعز ابن باديس القائم لدينك والناصـــر لســـنة نبيك مدافعا عن الدين، وســـلك غير ســـبيل الراشدين المؤمنين.[2] ﴿ **يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾.[3]

- **القول الخامس:** وقد ذكر المقريزي في ســـنة 443هـــــ/1051م بأن المعز ابن باديس صـــاحب إفريقية أظهر الخلاف على المســـتنصـــر، وبعث برســـول إلى بغداد ليقيم الدعوة العباســـية، واســـتدعى منهم الخلع، وقد تم خلعه على يد رســـول يدعى أبو غالب الشـــيزري، ومعه العهد واللواء الأســـود، وقد مرّ بموطن الروم ليعتدي من خلالها على إفريقية فقبض عليه حاكم الروم، فعلم المعز ابن باديس بذلك فأرسل إلى قسطنطين ملك الروم في أمره، فلم يجبه لحق المستنصر.[4]

---

[1] – عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ج6، ص 276.

[2] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 277-2748.

[3] – القرآن الكريم، سورة الكافرون، الآية 1-2.

[4] – تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المصدر السابق**، ج2، ص214.

- **القول السادس:** ومن بين المؤرخين الذين تحدثوا عن تاريخ الانفصال عن الدولة الفاطمية روجي إدريس، حيث أظهر أنه قيل للتعرض للروايات التي تحدد تاريخ قطع الدعوة الفاطمية وإظهار الدعوة للخلافة العباسية سنة 439-440هـ/1047-1049م، وهي روايات مقتبسة في معظمها من تاريخ ابن شرف، ويمكن لتحديد الانفصال الفاطمي من خلال الرجوع إلى المعلومات المتعلقة بالمسكوكات، والتي تؤكد صحة ذلك[1]، وجاء على لسان سعد زغول أن المعز في أول أيام حكمه قام بالعودة إلى السنة، وتتبع الشيعة والقضاء عليهم في عمليات تقتيل واسعة، وكانت مقاطعة العبيديين منذ سنة 407هـ/1016م، وكان للسيدة أم ملال نصيبا في سياسة المعز في المقاطعة مع العبيديين[2]، وبعض الروايات تنسب تلك السياسة إلى الوزير العالم والفقيه الزاهد أبي الحسن ابن أبي الرجال والذي قام بتأديب المعز وتعليمه أصول المذهب السني وتحبيبه له، ولمذهب الإمام مالك بن أنس.[3]

- **القول السابع:** قام المعز ابن باديس بتحويل الدعوة إلى بني عباس، بعد قطع الدعاء للمستنصر، وأزال اسمه من الطرز والرايات، ودعا للقائم أبي جعفر بن القادر وكان ذلك سنة 440هـ، وكتب بالعهد لصاحبه أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي، فتم قراءة ما نص عليه كتابه وقرأ بجامع القيروان، ونشر الرايات السود، وهدم دار الإسماعيلية، وعند حلول سنة 435هـ تغيرت سياسة المعز وذلك بسبب ثورة داخلية أوقعها الشعب على المتمسكين بمذهب الشيعة.[4] وهكذا خرج المغرب من عباءة الفاطميين ودخل تحت مظلة العباسيين ولو إسميا باعتبار أنه أصبح مستقلا من جميع النواحي خاصة سياسيا وعسكريا.

---

[1] - إدريس (روجي)، **المرجع السابق**، ص230.

[2] - عبد الحميد سعد (زغلول)، **المرجع السابق**، ج3، ص382.

[3] - تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المصدر السابق**، ج2، ص214.

[4] - عبد الحميد سعد (زغلول)، **المرجع السابق**، ج3، ص392.

-خلاصة.

بعد تولي المعز بن باديس الحكم وجد نفسه في مواجهة أوضاع داخلية تتميز بالاضطرابات والنزاعات خاصة مع قبيلة زناتة، وحتى الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة نتيجة المجاعات، لكنه استطاع بفضل حكمته ودهائه أن يتغلب عليها ويؤسس لمرحلة من الإزدهار والتطور، أعقبتها مراحل أخرى من الحروب والقلاقل بعدما فتح المواجهة مع الفاطميين الشيعة، حيث شهدت العديد من المجازر الجماعية في حقهم، ابتداء من 407هـ/1016 وإلى غاية سنة 423هـ/1031م، بعد وفاة الخليفة العبيدي الظاهر تولى الحكم ابنه المستنصر أبو تميم معد سنة 427هـ/1035م، وفي هذه الفترة ظهرت أزمات سياسية واقتصادية، واجتمعت العديد من الظروف والعوامل أدت إلى القطيعة بين الفاطميين والزيريين، وإعلان الولاء للعباسيين والخطبة لهم في المساجد، ولابد أن نشير هنا إلى الدور الرئيسي الذي لعبه المعز بن باديس في تقويض الوجود الفاطمي ببلاد المغرب دينيا بنصر المذهب السني على حساب المذهب الشيعي، وسياسيا بطردهم من المغرب والاستقلال عنهم.

الفصل الثاني

الانفصال المذهبي للمعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية ونصرته للمذهب السني

أولا: الصراع المذهبي السني الشيعي ببلاد إفريقية

ثانيا: المعز ابن باديس ينفصل عن مذهب الفاطميين ببلاد إفريقية

ثالثا: الزحف الهلالي لبلاد إفريقية ونهاية عهد المعز ابن باديس

- تمهيد:

لقد كان للمعز ابن باديس الدور الكبير في محاربة الدور الشـــيعي وإعادة الشـــمال الإفريقي إلى مذهب أهل الســـنة، وعمل على التقرب من العامة والعلماء والفقهاء من أهل السـنة، كما سـعى جاهدا للانفصـال الكلي عن العبيديين في مصـر، وقد تمكن من تحقيق ذلك، وجعل من المذهب المالكي هو المذهب الرسـمي لدولته، وتمكن من الإنضـمام للخلافة العباسـية، الأمر الذي أدى إلى ظهور الحقد الفاطمي الشـيعي عليه، فقرروا الانتقام منه عن طريق السماح للأعراب من بني هلال للزحف لبلاد إفريقية، مما أدى لإضعاف الدولة الزيرية الصنهاجية، وضعف الأمير الزيري نتيجة الانتصارات المتتالية للأعراب الهلالية، ومثلت فترة التواجد الهلالي ببلاد المغرب نهاية عهد المعز ابن باديس الذي اتجه من القيروان إلى المهدية واستقر بها فترة من الزمن وتوفي بها (554هـ-1062م).

أولا: الصراع المذهبي السني الشيعي ببلاد إفريقية.

أ-الدعوة الشـيعية الإسـماعيلية ببلاد المغرب: يتمثل معتقد الشـيعة في أن علي بن أبي طالب وذريته من بعده هم الأولى في حكم الدولة الإسـلامية، ويرون أن بني أمية انتزعوا الخلافة من أصـحاب الحق، ولهذا رفضـوا أن يعترفوا بحكمهم، وقاموا بتولية أئمة من ذرية علي، وكانوا يرون أن من واجبهم أن يعملوا جاهدين على الجمع بين الخلافة التي تمثل السلطة الزمنية، والإمامة التي تمثل السلطة الدينية الروحية.[1]

وقد مس الشيعة الضعف والسبب في ذلك هو انقسامهم إلى فرق وطوائف متعددة، ليدرك أحد أئمتهم وهو "إسماعيل ابن جعفر"، أنهم لا يستطيعون مواجهة الحاكمين، وأيقن أن الثورات العالمية لن تمكنهم من تحقيق هدفهم في حكم الدولة الإسـلامية، لذلك عمل على تكوين جماعة ذات طابع خاص في تفكيرها ونظامها الاجتماعي والديني والسـياسـي، تلك الجماعة هي الطائفة الإسماعيلية[2]، وهي طائفة نجحت في تأسيس الدولة الفاطمية.[3]

ويعود أصـل ظهور مذهب الشـيعة بإفريقية على يد الحلواني وأبي سـفيان، الذين أوفدهما "جعفر الصـادق" وقال لهما: «بالمغرب أرض بور، فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صـاحب البذر»، فنزل أحدهما ببلد مراغة، والآخر بسـوق جمار وكلتاهما من أرض كتامة، فانتشرت هذه الدعوة في تلك النواحي.[4]

وتمكن ابن حوشب في أقل من سنتين من السيطرة على معظم بلاد اليمن، فأضحت من أهم مراكز الدعوة الإسـماعيلية، وقد لاحظ أئمة الشـيعة تشـابه الطبيعة الجغرافية ببلاد

---

[1] – محمد ضياء الدين (الريس)، **النظريات السياسية الإسلامية**، ط4، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1964، ص 95.

[2] – حسن (إبراهيم حسن)، عبيد الله المهدي...، **المصدر السابق**، ص21.

[3] – عبد الله محمد (جمال الدين)، **الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصـر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، د.ط، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991، ص 39.

[4] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص32.

المغرب مع بلاد اليمن، بالإضافة لبعد المغرب عن مركز الخلافة العباسية، بالإضافة لشعور أهل المغرب بظلم الولاة لهم، ووجود الشيعة بالقرب منهم في بلاد المغرب الأقصى.[1]

قرر الأئمة تكليف ابن حوشب بعد انتصاره في اليمن مسؤولا عن نشر الدعوة في عدة مناطق، منها البلاد المغربية[2]، وليرسل الدعاة لبلاد المغرب كالحلواني وأبا سفيان، وإن الذي بعث بهما هو ابن حوشب بأمر الإمام الذي كان لا يقوم بتصرف دون مشورتهما وموافقتهما[3]، إن الداعي الذي خلف الحلواني وأبا سفيان عقب وافتهما، وأرجعت إليه نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب هو أبو عبيد الله الشيعي، وكان يلقب بالصنعاني أو المحتسب أو المشرقي، واسمه الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، وهو من أهل صنعاء.[4]

وانطلق عبيد الله الشيعي في رحلته من الحجاز مرورا بإفريقية ومرورا بمصر إلى طرابلس ومن ثمة إلى قسطبلية[5]، متجنبين دخول المغرب الأدنى إلى أن وصلوا إلى مشارف كتامة من بلاد المغرب الأوسط سنة (280هـ-894م) أين كان لقاؤه بمن تشيع منهم على أيدي أبي سفيان والحلواني، أمثال ابن حيوان وأبي القاسم الورفجوي وحريث الجملي وموسى ابن نكاد، فعقد مجلس دون إخبارهم بحقيقة أمره، ليثار عمله التنظيمي في وسطهم أخذ عليهم العهد مشترطا في حقهم الكتمان فوافقوا جميعهم وارتحلوا كلهم برفقته حتى دخلوا بلاد كتامة[6]، وإن الداعيان أبا سفيان والحلواني قد أديا دورا مهما في تذليل الكثير من الصعاب

---

[1] – عبد الله محمد (جمال الدين)، **المرجع السابق**، ص 40.

[2] – تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المقفي الكبير**، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1411هـ-1991م، ص 211.

[3] – حسن (إبراهيم حسن)، **المرجع السابق**، ص 74.

[4] – أبو حسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص 11.

[5] – حسن (إبراهيم حسن)، **تاريخ الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر وسوريا وبلاد المغرب الأقصى**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1958، ص 47.

[6] – بلاد كتامة، هي مدينة في أقصى إفريقية وهي المسماة "توزر" من نواحي الزاب الكبير من أعمال بلاد الجريد، للمزيد أنظر: صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق (البغدادي)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج3، د.ط، تحقيق: علي محمد البحاوي، دار إحياء الكتب، القاهرة-مصر، 1373هـ-1954م، ص 28.

التي مهدت الطريق لصـــاحب البذر وســـهلت مهمته، فاســـتطاع بذكائه وقدرته الكبيرة على الحركة والتحكم في قواعد الدعوة التي تزود بها من صـــــاحبه باليمن، والتغلغل أكثر في أوساطهم والوصول إلى تأطيرهم، مما سمح لهم باكتساح إيكجان[1]، كان نشاطه يرتكز على نشـــر الدعوة والتمكين لها، وكان يجتمع بالناس في حلقات علم منتظمة فيحدثهم بظاهر عن الأئمة وأولهم علي بن أبي طالب وذريته، وقد التف حوله شـــباب كتامة فصـــار بينهم موفدا بأمر فيطاع كالملك، وقام بتكوين قوة عسكرية أبشر بها المرحلة الثانية انطلاقا من بنية من أشد احتضانات التيارات السياسية والمذهبية الوافدة من المشرق.[2]

إن الواقع الأغلبي المتردي سـهل من مهمة عبيد الله الشـيعي ومن دعم دعوته، حيث باشـر العملية العسـكرية انطلاقا من تازوت، فبنا فيها قصـرا وجعله مقرا لإقامته هو وأتباعه، فكانت دار هجرة أنصـــاره يلجئون إليها عند إحســـاســـهم بعدم الأمن بين قومهم وذريتهم نظرا لطبيعة تضـاريسـهم المعقدة للمنطقة التي تقع عليها تازوت الأقرب قلعة إيكجان، ومن تازوت بدأت الحملة العسـكرية على مختلف المدن والقرى والقواعد الغربية للدولة الأغلبية، وكان أول هجوم له الأقرب لميلة.[3]

قام الشـيعيون باسـتغلال الصـراع القبلي الذي كان بين بني سـليم وبني ربيعة فهجموا على المدينة واسـتولوا عليها سـنة 289هـــ-902م، وعين عليها أول والي وهو أبو يوسـف مكتوم بن ديارة الأجاني، والذي يعد أول زعماء كتامة الذين اعتنقوا المذهب الإسماعيلي[4]، ثم غزى سطيف سنة 291هـ-904م بعد القيام بحصارا محكما دام حوالي شهر ونصف، لتنهار القوة الأغلبية بقيادة علي بن حفص عسـلوجة، فأجهز عليها الشـيعة ودخلوا جنودهم المدينة،

---

[1] – إيكجان، جبل قرب سـطيف يمتد لعمارة قبيلة كتامة إلى يتجاوز أرض بونة، كان أكثر مقيم بها هو عبيد الله الشـيعي، إذ كان يطلق على هذا المكان دار الهجرة وهي حص حصين ومعقل منيع، الإدريسي، **المصدر السابق**، ص260.

[2] – ابن عذراى، **المصدر السابق**، ص85.

[3] –ميلة، هي مدينة أزلية بها آثار كثيرة عامرة آهلة كثيرة الخصـب على نظر واسـع عليها، وفي صـور صـغير جليل بناه الأولون، أنظر، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ص 145.

[4] – محمد صـالح (مومول)، **السـياسـة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسـلامي**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص46.

فكان انتصارهم الثاني الحاسم، وتولد عنها نشر كبير دون التواصل التام بين السلطة والمجتمع، ويعد هذا من الأسباب الجوهرية التي عجلت برحيل الفاطميين باتجاه المشرق لعجزهم عن تحقيق مشروعهم المذهبي بها.[1] ويمكن القول أن الدعاة الإسماعيليين كان لهم الدور الكبير في إرساء وتثبيت دعائم الدولة الفاطمية ببلاد المغرب عن طريق نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي بإفريقية.

ب-المذهب المالكي وفقهائه في المغرب الأوسط: إن الإسلام هو قرآن وسنة واتفاق أئمة المسلمين ومجتهديهم من الصحابة ومن جاء منم بعدهم على حكم شرعي، أو فهم تعاليمه يكون بصير بالدين عالم بأصوله وتعاليمه[2]، وينسب المذهب المالكي السني إلى مالك بن أنس الأصبحي، ويعد هذا المذهب الثاني للمذاهب الأربعة القديمة، ويطلق على أصحابه أهل حديث، ظهر هذا الذهب بالمدينة المنورة وهي موطن الإمام مالك بن أنس رحمه الله، لينتشر هذا المذهب في الحجاز وصولا إلى البصرة ومصر وبلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى والسودان.[3]

لقد استوطن المغرب الأوسط العديد من الفقهاء المالكية الذين ساهموا في تثبيت القواعد الأولى للمذاهب بالمنطقة، لكن لم تحدد المصادر أول من أدخل المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط على غرار باقي دول المغرب الأخرى، ولكن ظهر بالمنطقة الفقهاء المالكيين الذين أخذوا العلم عن الإمام مالك رحمه الله كأبي القاسم الزاوي.[4]

---

[1] – زين الدين عمر (ابن الوردي)، **تتمية المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي**، ج1، د.ط، تحقيق: البدراوي أحمد رفعت، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 13398هـ-1970م، ص 15.

[2] – وهبي سليمان (غاوجي)، **أبو حنيفة النعمان، إمام الأئمة الفقهاء 80-150هـ**، ط5، دار القلم، دمشق، لبنان، 1413هـ-1993م، ص 129.

[3] – أحمد (تيمور باشا)، **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة**، د.ط، دار القراءة، د.ب، د.ت، ص 60.

[4] – القاسم الزاوي، كان يسمع عن الإمام مالك ويروي عنه وهو من أصحاب سحنون، أنظر، أبي بكر عبد الله بن محمد (المالكي)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وسكانهم وأخبارهم وفضلائهم**، ج1، د.ط، تحقيق: بشير بكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1414هـ-1994م، ص 392.

إن العلماء الذين استقروا بمدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل التاهرتي (200-296هـ/815-909م)، وهو من أشهر العلماء، لم يكن إباضيا وانتقل إلى المغرب الأدنى فتعلم على يد الإمام سحنون وتنقل منها إلى المشرق فدخل البصرة سنة 217هـ-835م، واشتغل بتعليم الحديث وعلم الجرح والتعدين ثم التدريس[1]، وتبعه بعد ذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التاهرتي، واشـــتغل بتدريس الفقه المالكي بمدينة تاهرت، ومن بين الفقهاء أيضـــا الذين برزوا هو الفقيه إبراهيم الطبني نســـبة إلى مدينة طبنة ببلاد الزاب، وقد عاصـــر الإمام ســـحنون، كما شـــاركه في إدارة قضـــاء إفريقية أثناء حكم الأغالبة، ويعتبر هؤلاء الفقهاء من النخبة التي بثت قواعد المذاهب الفقهية الســـنية ببلاد الزاب، حيث وضـعوا الأسـس الأولى لتأسـيس المدارس بداية بمدرسـة طبنة وتاهرت والقليعة وبجاية.[2]

ج-الصراع بين أهل السنة والفاطميين الشيعة في بلاد المغرب الأوسط: بلغ الصراع أقصى مداه من تاريخ إفريقية، وكان في أكمل مظاهر عنفه، حيث لم يكتف فيه المالكية بما كانوا سـلكوه من الأغالبة من ألوان المقاومة السـلبية الصـامتة أحيانا والصـاخبة أحيانا أخرى، ولم يقف الفاطميون موقف الخائف المتردد طورا وموقف المتجبر طورا آخر، وكان الصـــراع عنيفا، حيث قام الفاطميون بقتل معارضيهم بالجملة، وقام السنيون من المالكية بالمعارضات الجدلية، وأشهروا ضد خصومهم حربا ضروسا كاد يكون لهم كسبا لولا قضاء الله الذي قدر أن تكون عليهم، ولتذهب بها أرواح آلاف الضحايا من المسلمين والرجال الصالحين.[3]

---

[1] – موسى (هيصام)، **التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين**، ج1، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 1434هـ-2013م، ص 66.

[2] – عثمان (الكعاك)، «**الوحدة الثقافية للمغرب العربي**»، مجلة الأصـالة، ع11، السـنة الثانية، مطبعة البعث، قسـنطينة، الجزائر ذو القعدة 1392هـ/نوفمبر-ديسمبر 1972م، ص 21.

[3] – عبد العزيز (المجدوب)، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، د.ط، تقديم، علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، رمضان 1395هـ/ سبتمبر 1975، ص 167.

أقام العبيديون سلطانهم بالمغرب ومبايعة أهل القيروان عبيد الله، ولقب ولي المسلمين أو أمير المسلمين، فسعوا جاهدين إلى القضاء على المذهب السني ليظهر أوجه الصراع بين المذهب السني والشيعي، وليقوم الشيعة بجرائم بشعة[1]

جاء على لسان الذهبي عن ابن يردون «هو الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن البردون الطي مولاهم الإفريقي المالكي، تلميذ أبي عثمان الحداد»[2]، وطلب منه لما أراد أن يقتله أن يرجع عن مذهبه فرفض فقال على الإسلام ارجع، وقيل في سنة تسعة وتسعين ومائتين.[3] إن عبيد الله المهدي الزنديق لم يترك الرسالة فحسب، وإنما سمع لم يتبعه أن يغرقوا في كفرهم، وقد ادعى معرفة الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وقال الله تعالى: **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**.[4]

كما قام العبيديون أيضا بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد، وجلعوا اسمه بديلا عنهم، كما استولى على أموال الأحباس والسلاح والحصون، وطرد المرابطون بقصر الزياد الأغلبي وجعله مخزنا للسلاح[5]، كما حرّموا الفقهاء من الفتوى بمذهب الإمام مالك، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانا، وهذا النوع من الإرهاب النفسي، حيث كانوا يدورون بالمقتول في أسواق القيروان وينادى عليه «هذا جزاء من يذهب لمذهب مالك»، ولم يبوح بالفتوى إلا لمن كان على مذهبهم كما فعلوا بالفقيه المعروف بالهزلي أبو عبد الله محمد بن العباس بن الوليد.[6]

---

[1] – عبد الرحمن حسين (العزاوي)، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، تحقيق، أحمد ياسين، دار الخليج، عمان–الأردن، 2011، ص 84.

[2] – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي)، **المصدر السابق**، ص 210.

[3] – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي)، **نفس المصدر**، ص 210.

[4] – القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 59.

[5] – أبو بكر عبد الله أبي عبد الله (المالكي)، **المصدر السابق**، ص 29.

[6] – أبو بكر عبد الله أبي عبد الله (المالكي)، **المصدر السابق**، ص 122.

د-موقف أهل السنة من الصراع ضد الشيعة وأساليب المقاومة: اتخذ فقهاء وعلماء أهل السنة المالكية مواقف سياسية معادية للوجود الإسماعيلي الشيعي منذ ظهور النشاط الأول لدعوة أبي عبيد الله الشـيعي، حيث كان لا يوجد توافق بين علماء وأتباع المذهبين طيلة فترة التواجد الفاطمي بالمنطقة، فقد تصدى السنيون للوضع أواخر أيام الدولة الأغلبية عندما أبان الشـيعي عن مذهبه وقام بالاسـتيلاء على قلاع ومدن المنطقة، حيث قام زيادة الله الثالث الأغلب الفقهاء ليستعين بهم في ممارسة عليه مستشهدا بتصرفات الشيعي وممارساته في حق أمور أهل السنة بلعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ونعت من يخالف مذهبه بالكافر وليلعن الفقهاء الذي كان موقفهم يتميز بالرداءة.[1]

يعتبر أول موقف جماعي اتخذه علماء القيروان ضـد الفاطميين تمثل في أن قتلاهم واجب، وجهادهم فرض، وذلك لما استفتاهم زيادة الله الأخير في أمرهم، وبين لهم ضلالتهم، فأظهر الفقهاء اللعنة والبراءة منه، وحرضوا على قتالهم لأبي عبيد الله وقاتلوهم بمجاهدتهم.[2]

إن حقيقة أهل السنة أنهم يتولون جميع المؤمنين ويتبرؤون ممن سلك طريق الروافض واعتقاداتهم في الإمامة[3] مع معرفتهم لقدر الصحابة وفضلهم ويرعون حقول أهل البيت على غير سلوك وممارسات الإسماعيلية الشيعة في الخلاص منهم[4]، وخاصة لعنهم للخليفين أبي بكر وعمر وجماعة أخرى من الصحابة أمثال طلحة بن عبيد الله ومن سب أصحاب الرسول ﷺ، فجاء عنه لو كان من غير عصبي ما أوأدته وقال أبو بكر بن عباس «لا أصلي على رافضتي ولا حدودي، لأن الرافضي يجعل عمرا كافرا والحدودي يجعل علي كافرا، فهي فتوى استند إليها أهل السنة في المغرب الأوسط لعزل الفاطميين وفضح معتقداتهم، حيث أقاموا

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 137.

[2] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **نفس المصدر**، ص 137.

[3] – القاضي (عياض)، **ترتيب المدارك وتقييم المسالك**، ج1، د.ط، تحقيق، محمد سالم هشام، دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، د.ت، ص 107.

[4] – أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم (ابن تيمية)، **مناهج السـنة النبوية في نقض كلام الشـيعة والقادرية**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1420هـ–1999م، ص 112.

قواعد وأصـــول مذهبهم على ما يراه الســـنيون من فروع الدين فعملوا جاهدين على دحض ادعاءاتهم في الإمامة».[1]

ولقد قاوم علماء أهل الســنة المد العبيدي الرافضـــي بكل الأســاليب المتاحة لهم من حجة وتعليم ودعوة وحمل السلاح ضد العبيديين، وقام علماء أهل السنة بمقاومة مؤسسات الدولة العبيدية، فلا يصــلون وراء أئمتهم، ولا يصــلون على موتاهم ولا ينكحونهم[2]، حصّــن علماء أهل السنة أهل الشمال الإفريقي بالفتاوى والتي بينت كفر بني عبيد، وبينت أيضا أنهم ليسوا من أهل القبلة، كما اعتبروا أهل السنة من دخل في دعوتهم بالكفر، لتنتشر هذه الفتوى ولتكون حاجزا منيعا بين العوام وبين التردي في الدعوة الرافضية.[3]

حاولت الدولة الفاطمية ببلاد المغرب إجبار الناس على مذهبهم، متبعين في ذلك طريقة المناظرات وإقامة الحجة مرة والتهديد بالقتل مرة أخرى، ليلجأ الناس بعد ذلك إلى أبي سـعيد، وسـلوه التقية، فأبا وقال: «وقد أربنت على التسـعين وما لي في العيش حاجة، ولا بد لي من المناظرة عن الدين، أو أن أبلغ في ذلك عذرا ففعل وصـــدق وكان هو المعتمد عليه بعد الله في مناظرة الشيعة».[4]

قام أغلب علماء السنة في بلاد المغرب الإسـلامي بتكفير الشـيعة الفاطميين، وأن لا تخطب لهم جعة، ويعتبر كل من يخطب لهم على المنبر كافر، يقتل وتحرّم عليه زوجته ولا يرث، كما اعتبروهم كذلك زنادقة، ونادوا بقتلهم، حيث وجدوا كما يقتل الزنادقة، وقاموا بالمقاطعة السلبية لهم حيث لا يؤمنون لهم الصلاة، ولا يحضرون صلاة الجماعة معهم ولا يحضرون جنائزهم أيضا[5]، كما قام علماء أهل السنة بمقاطعة جميع مؤسسات الدولة الشيعية

---

[1] – أبو حامد (الغزالي)، **فضائح الباطنية**، د.ط، راجعه، محمد علي قطب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا–لبنان، 1422هـ–2001م، ص 82.

[2] – علي محمد (الصلابي)، **المرجع السابق**، ص 79.

[3] – أبو بكر عبد الله ابن عبد الله (المالكي)، **المصدر السابق**، ص 140.

[4] – أبو بكر عبد الله ابن عبد الله (المالكي)، **نفس المصدر**، ص 75.

[5] – حسن أحمد (محمود)، **قيام دولة المرابطين**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، د.ت، ص96.

فلا يصـــلون وراء أئمتهم ولا على موتـاهم، ولا يهنئونهم في أفراحهم، ولا معزين لهم في أقراحهم.[1] كما قام علماء أهل الســنة بشــكل آخر من الصــراع وهي المقاومة الجدلية ضــد الشيعة.

ثانيا: المعز ابن باديس ينفصل عن مذهب الفاطميين ببلاد إفريقية.

أ-المعز ابن باديس الصــنهاجي ينتصــر للمذهب الســني (406-449هـــ/1016-1057م): المعز بن باديس بن منصــور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصــنهاجي[2] المغربي شــرف الدولة ابن أمير المغرب[3]، نودي به أميرا يوم الســبت الثاني من ذي الحجة بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، وكان للعلامة أبو الحســن الزجال الدور الفعال في تربية المعز ابن باديس على منهج أهل الســـنة والجماعة، وقد أعطت هذه التربية ثمارها بعد أن تولى المعز ابن باديس الحكم بإفريقية، وكان عمل أبو الحسن يتم في سرية دون علم الشيعة الذين كانت الدولة دولتهم، وكان هذا العالم ذو خلق ودين وعقيدة، وكان مبغضـــا للمذهب الإســـماعيلي الشيعي[4]، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في عقلية وفكر المعز ابن باديس والذي كان له الفضل في القضاء على المذهب الإسماعيلي الشيعي ببلاد الشمال الإفريقي، وإن المعز ابن باديس تدرج في عدائه للإسماعيلية وحكام مصر، وكان ذلك سنة 435هـ/1044م عندما وسع قاعدة أهل السنة في جيشه وديوانه ودولته، وقد قام بعمليات تطهير للمعتقدات الكفرية ومواجهة من يقوم بسب أصحاب الرسول ﷺ فأباح للعامة قتل من يظهر السب والشم لأبي

---

[1] – علي محمد (الصلابي)، **نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**، ط1، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، مصر-القاهرة، 2007، ص ص 77-80.

[2] – المعز بن باديس بن منصور الصنهاجي من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية، ولد بالمنصورية سنة 398هـ/1008م، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 406هـ/1016م، وقد أقره الحاكم الفاطمي ولقبه بشرف الدولة، توفي سنة 454هـ/1062م بالمهدية، أنظر، خير الدين (الزركلي)، **الأعلام**، ط15، دار الأوائل، سوريا، 2005، ص 269.

[3] – شمس الدين محمد ابن أحمد (الذهبي)، **المصدر السابق**، ص 140.

[4] – محمد علي (الصلابي)، الدولة الفاطمية...، **المرجع السابق**، ص ص 95-96.

بكر وعمر رضـــي الله عنهما، فقام العامة في الشـــمال الإفريقي للتخلص من العبيديين بالمنطقة ومن المعتقدات الفاسدة الدخيلة عليه.[1]

استمر المعز ابن باديس بالتقرب إلى العامة وعلمائهم وفقهائهم من أهل السنة وواصل السير في تخطيطه للانفصال الكلي عن العبيديين في مصر، وليجعل المذهب المالكي هو المذهب الرسمي لدولته، وأعلن انضمامه للخلافة العباسية، وغير الأعلام إلى العباسيين وشعاراتهم، وليحرق أعلامهم وشعاراتهم، وأمر بسبك الدراهم والدنانير التي كانت عليها أسماء العبيديين، كما أمر أيضا بضرب سكة أخرى كتب على أحد وجهيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكتب على الآخر ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.[2]

قام المعز ابن باديس بالقضاء على المذاهب المخالفة لأهل السنة من الصفرية والنكارية والمعتزلة والإباضية، ولتنتظم برقة في سنة 443هـ.[3]

يعتبر عهد المعز ابن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية، وتاريخ المغرب الإسلامي عامة، وكان له الفضل في القضاء على التشيع في إفريقية والقيروان، ما يقارب القرن والنصف، وهذه الفترة ساد فيها المذهب الإسماعيلي على حساب المذهب المالكي، وكانت السيادة للمذهب المالكي بفضل جهود كبار المالكية، ولتقطع العلاقة بين القيروان والقاهرة في عهد المعز ابن باديس وإعلان الخطبة العباسية، وعودة السنة لإفريقية، ولتنتهي معاناة مشايخ المالكية على أيدي الشيعة، ودفع الشيعة ثمن تشيعهم غاليا[4]، وجاء في كثير من كتب التاريخ أن المعز ابن باديس تدرج في عدائه للإسماعيلية وحكام مصر، وكانت البداية سنة 435هـ/1044م، عندما قام بتوسيع قاعدة أهل السنة في الجيش والديوان وحتى دولته، وقام بعمليات تطهير واسعة للمعتقدات الكفرية، والقضاء على من يسب أصحاب

---

[1] – محمد علي (الصلابي)، الدولة الفاطمية، **نفس المرجع**، ص 97.

[2] – القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 85.

[3] – شمس الدين محمد بن أحمد (الذهبي)، **المصدر السابق**، ص 290.

[4] – عبد الحميد (سعد زغلول)، **المرجع السابق**، ص 279.

الرسول ﷺ، فرخص للعامة ولجنوده بالقضاء على من يقوم بسب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فشارك أغلبية العامة بإفريقية بالقضاء على بقايا العبيديين ولتنتهي المعتقدات الفاسدة الداخلية.[1]

وقد شجع العلماء والفقهاء بهذا العمل الذي أشرف عليه المعز بن باديس رحمه الله، وقد ذكرت أعمال المعز على لسان مجموعة كبيرة من الشعراء في قوافي وأشعار لمدحه، فقال القاسم بن مروان في تلك الحوادث: ة

يا معز الدين عش في رفعة ∴ سرور واغتباط وجدل.

أنت أرضيت النبي المصطفى ∴ وعتيق في الملاعين السفل.

وجعلت القتلى فيهم سنة ∴ بأقصى الأرض في كل الدول.[2]

لم يتشرب المغاربة على وجه العموم العقائد الفاطمية، ويبدو أن الخروج عن الفاطميين كان الشعار الذي يرفعه كل ثائر في بلاد المغرب الأوسط، ليزيد لنفسه استقطاب الجماهير والحصول على ولائها، وذلك لأن هذا الخروج يرضي المغاربة ويتمتع الشاهد على ذلك هو خروج المعز ابن باديس عن الدولة الشيعية الفاطمية.[3]

ب- المعز ابن باديس يناهض ويقاتل الشيعة بإفريقية: ينسب إلى المعز ابن باديس الصنهاجي العودة إلى السنة وتتبع الشيعة والقضاء عليهم، وهذه السياسة تتبع به ملكه، منذ سنة 407هـ/1016م[4]، وكان للسيدة أم ملال نصيبا في هذه السياسة، وبعض الروايات تنسب تلك السياسة إلى الوزير والفقيه والعالم الزاهد أبي الحسن ابن أبي الرجال، والذي كان

---

[1] – علي محمد (الصلابي)، نسر صفحات مطوية...، **المرجع السابق**، ص 92.

[2] – الطاهر (زاوي)، **المرجع السابق**، ص 225.

[3] – عبد الحميد (عويس)، **دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط1، دار الشروق، بيروت–لبنان، 1980، ص 187.

[4] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص225.

من مؤدبي المعز ابن باديس منذ أن كان طفلا، وتربيته على حب الســـنة ومذهب مالك بن أنس.[1]

وكان المعز ابن باديس منذ بداية ملكه سـنة 407هـــ/1016م منحرفا عن مذاهب الرافضـــية محبا للمذهب الســـني، وقد قام بالإعلان عن مذهبه أول أيام حكمه وقام بلعن الرافضــية والشــيعة لا يعلمون ذلك، وقام بقلت من وجدوا منهم[2]، وليس من المقبول أن يتخذ طفلا صـغيرا قرارات خطيرة بشـؤون دينية، وكان يترتب عليها الموت أو الحياة، وتذكر الكثير من الروايات أن المعز ابن باديس خرج للمصـــلى وهو غلام فكبابه فرســـه، فقال: «أبو بكر وعمر»، فكادت الشـــيعة تقتله لولا عبيد ورجاله والذين كانوا من أصـــحاب الســـنة ويكتمون مذهبهم واندفعوا لقتل الشيعة في كل مكان.[3]

وجاءت في رواية أخرى للنويري أن المعز ابن باديس ركب يوم السـبت 16 من محرم 407هـــ/ يونيو 1016م، ومرّ بجماعة فسـأل عنهم فقيل: «رافضـية، والذين قبلهم سـنة»، فقال: «وأي شـيء للرافضية والسنة»[4]، فكأنه لم يعرف شيئا عن الشيعة ولا عن السنة، وهذا الأمر هو المقبول، حيث أن الأمير المعز ابن باديس لم يكن قدتم ختانه إلا في أواخر ســـنة 407هـ/ ماي 1017م.[5]

فقد ذكر الكثير من المؤرخين أن القتل وقع أيضـــا في ســـائر مدن إفريقية والمهدية[6]، ولجأ من كان بالمهدية إلى الجامع، فلم يســـلموا من الســـيف والقتل، وكان المعز في الظاهر يبدو راضيا ولكنه في حقيقة الأمر متأسف مجاملة للخليفة العبيدي، ولم يكن يخفي عليهم ما

---

[1] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **نفس المصدر**، ص 227.

[2] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 199.

[3] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 395.

[4] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **نفس المصدر**، ص 395.

[5] – شهاب الدين أحمد (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص 294.

[6] – المهدية، هي مدينة إفريقية اختطها عبيد الله المهدي سـنة 303هـ/916م، وقد قام بالتنقل إليها سـنة 308هـ/921م، وتقع القيروان في المنطقة الجنوبية من مدينة المهدية، وتقدر المسافة بينهما ستون ميلا، أنظر، ياقوت (الحموي)، **المصدر السابق**، ج5، ص230.

يحصل بإفريقية، والذي كان يعجز عن التدخل بالقوة المسلحة كما حدث لأصحاب الأرض الزيرية.[1]

المعز ابن باديس هو أول من أعلن انفصال المغرب عن العبيديين وخلع طاعتهم، ولما بعث إليه المستنصر بالقاهرة يتوعده أجاب الرسول بقوله: «قل لأميرك أن لنا ملكا بإفريقية قبل أن تكون للعبيديين ذكر».[2]

وبالرغم مما لحق بالشيعة من أذى، فإن العلاقة مع القاهرة ظلت على ما هي عليه من حيث الشكل، ففي آخر ذي الحجة سنة 407هـ/29 مايو 1017م وصلت خلع الحاكم إلى المعز ابن باديس مع لقب شرف الدولة.[3]

قبل أن ينقطع المعز ابن باديس علاقته مع الدولة الفاطمية بعث رسولا إلى كل من الإمبراطور البيزنطي والخليفة العباسي والخليفة الأموي بالأندلس لطلب المساعدة، وذلك لأنه كان يرغب في إقامة خلافة زيرية ولكن الشيوخ السنيون عارضوه ومن بينهم أبو عمران الفاسي، وقال له: «لا تستطيع أن تكون خليفة لأنك من قريش»، وهذا ما أدى به لاختيار خليفة يخضع له فاختار الخليفة العباسي القائم بأمر الله[4]، وحمل كل الناس على مذهب مالك وجاءت المراسيم والخلع من القائم بأمر الله العباسي ببغداد مع أبي الفضل ابن عبد الواحد التميمي، ولتنقطع صلته بالعبيديين بمصر.[5] فوجد المعز ابن باديس نفسه في مواجهة قوى جديدة بعد نهاية المد الشيعي بالمنطقة والذي أدى لنهاية عهده.

ج- المعز ابن باديس يقاطع المذهب الشيعي ويعلن ولائه للخلافة العباسية: كان سكان إفريقية أغلبهم متمسكين بالمذهب السني، مع أنه كان المذهب الرسمي بالمنطقة هو المذهب

---

[1] – محمد (الطمار)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 2016، ص 86.

[2] – عبد الرحمن (بن محمد الجيلالي)، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، 1384هـ/1965م، ص 338.

[3] – ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص 258.

[4] – رشيد (بورويبة)، **المرجع السابق**، ص 25.

[5] – الطاهر أحمد (زاوي)، **المرجع السابق**، ص 225.

الشيعي، وقد ألح الشيوخ السنيون على المعز ابن باديس أن يخلع السلطة، ومن بين أبرز الشيوخ الذين كان لهم الدور الفعال في تغيير العلاقات الزيرية الفاطمية هما أبو بن عبد الرحمن وأبو عمران الفاسي[1]، وقام المعز ابن باديس بالتقرب من العامة وعلمائهم وفقهائهم من أهل السنة، وواصل في تخطيطه للانفصال الكلي عن العبيديين في مصر، وفي عهده جعل من المذهب المالكي المذهب الرسمي لدولته.[2] كان الأمير الزيري في الوقت الذي يلعن فيه سلالة المهدي (عبيد الله)، فإنه كان يمجد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، كما أعطى للخلفاء المكانة التي منحها لهم التاريخ.[3]

قام المعز ابن باديس في القيروان بخلع طاعته للعبيديين، وكان ذلك سنة 438هـ/1046م وقطع أسماءهم من خطبة الجمعة، وجعل مكانها اسم الخليفة العباسي وأرغم الناس بالعودة إلى مذهب مالك، والذي يرضي الفقهاء، وجراء هذا تطهرت بلاد إفريقية من العقيدة الفاطمية.[4]

استمر المعز ابن باديس في القضاء على المذهب الشيعي حتى سنة 443هـ/1051م ليعلن انضمامه للدولة العباسية، وخطب القائم بأمر الله، وقام بقطع الخطبة للفاطميين بمصر بالإضافة لتمزيق أعلامهم وإحراقها[5]، وفي سنة 443هـ/1051م أمر المعز ابن باديس صابغي القيروان بصباغة الأقمشة البيضاء الصادرة من الأسواق وصباغتها باللون الأسود الذي كان يمثل رمز العباسيين، ووضع الخياطون عباءات ولتوزع على رجال الدين وأفراد الحاشية، وقد قام المعز ابن باديس بإحراق بنود الفاطميين ومحو أسمائهم من الطرز والسكة[6]، وإن تبديل السكة وقع سنة 441هـ/1049م، وكتب على أحد وجهيها «لا إله إلا الله

---

[1] – رشيد (بورويبة)، **المرجع السابق**، ص 41.

[2] – علي محمد (الصلابي)، الدولة الفاطمية، **المرجع السابق**، ص 97.

[3] – جورج (مارسيه)، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، د.ط، ترجمة، محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية–مصر، 1991، ص 195.

[4] – شوقي (ضيف)، **المرجع السابق**، ص 37.

[5] – الطاهر أحمد (الزاوي)، **المرجع السابق**، ص 224.

[6] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 278.

محمد رسول الله»، وأما الوجه الآخر فكتب عليه «ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».[1]

ثالثا: الزحف الهلالي لبلاد إفريقية ونهاية عهد المعز ابن باديس.

أ-الزحف الهلالي على بلاد إفريقية: يطلق على هجرة بنو هلال[2] إلى المغرب، الغزوة الهلالية تغريبة بني هلال، وبدأت بسبب قطع العلاقات السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة، وبين الزيريين في إفريقية في عهد المعز ابن باديس[3]، ولتزحف هذه القبائل من صعيد مصر نحو إفريقية بعد أن أقنع الوزير اليازوري الخليفة الفاطمي بنقلهم، وذلك لتحقيق هدفين أساسيين أولهما تخلص البلاد منهم والثاني القضاء على الدولة الصنهاجية وإنشاء دولة عربية تابعة عوضا عنها[4]، وضمت هذه الهجرة جماعات هلال بني عامر وأهمها: جشم والأثبج، وزغبة، ورياح، وربيعة وعدى.[5]

قدرت الهجرة الهلالية الأولى بحوالي خمسين ألف مقاتل، والرقم الإجمالي مليون مقاتل، ولتتبعها موجات أخرى لهذه الهجرة[6]، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه القبائل كانت مضطرة لنهب المزروعات وأعمال السلب، وذلك بسبب نفاذ مؤونتها التي حملتها معها بالرحلة، فكانت تنقص على ما تقابله عند وصولها للعمران، كما أن هذه الهجرة لم تكن شرا خالصا، بل كانت شرا تأتيت عنه خير كثيرا.[7]

---

[1] – جورج (مارسيه)، **المرجع السابق**، ص 197.

[2] – بنو هلال، نسبة إلى هلال بني عامر بني صعصعة بني معاوية بني بكر ابن هوزان ابن المنصور ابن عكرمة ابن حفصة ابن قيس بن عيلان ابن مضر، أنظر، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (الأندلسي)، **المصدر السابق**، ص 273.

[3] – شهاد الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ص 117.

[4] – جورج (مارسيه)، **المرجع السابق**، ص 222.

[5] – عبد الرحمن (ابن خلدون)، **المصدر السابق**، ص 31.

[6] – جورج (مارسيه)، **المرجع السابق**، ص 222.

[7] – أحمد (حسن خضيري)، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، د.ط، مكتبة مدبولي، جامعة جنوب الواد، الجزائر، 1362هـ567هـ/973هـ1071م، ص262.

إن الأزمة الاقتصـــادية التي مرت بها مصـــر في هذه المرحلة والتي تفاقمت في عهد اليازوري، هي السبب الرئيسي الذي عجل بسماح الأعراب بالهجرة من مصر باتجاه المغرب، والسبب هذه الأزمة ارتفاع الأسعار سنة 446هـ/1054م وما تبعها من غلاء ووباء.[1]

دخلت العرب الهلالية إلى المغرب سنة 442هـــ/1050م، وجاء كتاب من اليازوري يقول فيه: «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا، يقضـي الله أمرا كان مفعولا»، ودخلت العرب فوجودها بلاد طيبة كثيرة المراعي، وكانت عمارتها زناتة فأبادهم المعز، وقد اســتوطنوا بها[2]، وواصـــل الهلاليون خرابهم وثوراتهم مع الزيريين حتى وصـــلوا الحدود الحمادية سـنة 512هـــ/1118م، وقد اكتسـوا القلعة الحمادية وأهلكوها، فخرج إلى محاربتهم يحي ابن العزيز ومعه القائد علي بن حمدون فنكل بالهلاليين وعاد إلى بجاية وإن الأصـــل في ظهور بني هلال في الدولة الحمادية إلى محالفة الملك الناصـــر قبيلة الأثبج الهلالية سنة 557هـ/1161م.[3]

ويبدو أن المعز ابن باديس قد أخطأ في تقديره لخطر الأعراب الهلالية، ولم يكن يظن أنهم يشـــكلون خطرا كبيرا على دولته، وربما يكون قد رجح ظنه عند اطمئنانه من جهة برقة، وقد قام أميرها حيارة بني مختار العربي بإرســـال الطاعة والســـمع ونبذ العبيديين والدعوة للعباســـيين، ولكن الأمر ســـارت في الاتجاه المعاكس، لأن العرب أرادوا الوصـــول إلى القيروان.[4]وجد المعز ابن باديس نفســـه في مواجهة قوى جديدة بعد أن تخلص من التبعية للعبيديين وهي خطر الأعراب الهلالية، وهذه الفترة مثلت نهاية عهد المعز ابن باديس.

---

[1] – تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الخطط المقريزية**، ج1، ط1، تحقيق، محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة–مصر، 1998، ص 335.

[2] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ج24، ص 114.

[3] – عبد الرحمن بن محمد (الجيلالي)، **المرجع السابق**، ص 380.

[4] – أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص 295.

ب- الحرب بين المعز ابن باديس والقبائل الهلالية: إن الغزو الهلالي لبلاد إفريقية يمثل نكبة على المنطقة، حيث ارتبطت هذه الحركة بالتخريب والقتل والنهب، ليصف مجموعة من المؤرخون أمثال ابن خلدون وابن الأثير وغيرهم الأعراب الهلالية بأبشع وأقبح الصفاة.

أمام خطورة الأوضاع، قام المعز باتخاذ قرار متمثل في مواجهة الأعراب عسكريا واشترى العبيد، ووسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثين ألف رجل[1]، وفي المقابل كان عدد الأعراب ثلاثة آلاف فارس، فعندما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم، فقال لهم مؤنس: «ما هذا يوم فرار»، فقالوا: «أين نطعن هؤلاء، وقد لبسوا الكازغندات والمغافر»، قال: «في أعينهم» فسمي ذلك اليوم يوم العين والتحم القتال[2]، وانهزمت صنهاجة ورجع العرب، واستمرت الهزيمة، وقتل من صنهاجة أمة عظيمة، ودخل المعز القيروان مهزوما، على كثرة من معه، وفي هذه الواقعة قال الشاعر العربي علي بن رزق أبياتا يصف ما دار بينهم وبين المعز:

وإن ابن باديس لأحزم مالك ∴ ولكن لعمري ما لديه رجال.

ثلاثة آلاف لنا غلبت له ∴ ثلاثين ألفا إن ذا لنكا.[3]

ومن المعارك الكبرى بين الأعراب والمعز ابن باديس معركة عيد الأضحى، وعرفت بالداهية الكبرى، وهي معركة جبل حيدران بين قابس والقيروان، وفي هذه المعركة بلغ جيش المعز ابن باديس حوالي ألف رجل[4]، وقد بدأ الهجوم على العرب وهم في صلاة العيد، ولتقطع صلاتهم وركبوا خيولهم، ولتنهزم صنهاجة ثم جمع المعز وخرج في صنهاجة وزناتة في جمع عظيم، ولما أشرف على بيوت العرب ركبت خيولها وهم زغبة وعدي، وكان عددهم سبعة آلاف، وقامت معركة بينهم ولتنهزم صنهاجة، وانهزمت بهدها زناتة وكان أميرها

[1] – أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **نفس المصد**، ص 296.

[2] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ص290.

[3] – أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص 296.

[4] – أبو عبد الله محمد المراكشي (ابن عذارى)، **المصدر السابق**، ص 290.

المنصـور ابن خزرون، ورجع المعز إلى المنصـورية وأحصـى من قتل من صـنهاجة فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة.[1]

نتيجة لتوالي هذه الهزائم العســكرية الكبيرة، لم يبق أمام المعز ابن باديس إلا اختيار واحد وهو رفع الحرب وإقرار السلم، وحصل ذلك في مطلع سنة 444هـ/1052م، وسمح للعرب بدخول القيروان والقيام بما يحتاجونه من بيع وشراء، فلما دخلوا استطال عليهم العامة، وأوسعوهم إهانة وشتما، فقتل العرب منهم خلق كثير.[2]

ج-نهاية عهد المعز ابن باديس الصـــنهاجي: لقد شـــهدت نهاية عهد المعز ابن باديس الزيري كارثة سياسية واقتصادية، تمثلت في غزوة بني هلال لإفريقية، وتمت هذه الغزوة بعد النصيحة التي أسداها الوزير اليازوري إلى الخليفة الفاطمي، والمتمثلة في تسليم إفريقية إلى جحافل الأعراب الهلالية الذين كانوا يثيرون المشـــاكل ويمثلون عبئا عليه، وبعد دخولهم إلى إفريقية أصـــبحوا يمثلون نكبة على الأمير الزيري[3]، ولتتغير الأوضـــاع بإفريقية بعد الزحف الهلالي، وقد حمّل البعض المعز ابن باديس مسؤولية ما حصل.[4]

استولى العرب على القيروان وهدموا حصونها وقصورها، ومن جراء هذا الصراع تلقى المعز ابن باديس درسـا قاسـيا له، وأدرك حينها أنه لا طاقة له بمواجهة العرب الهلالية، كما أدرك أن العبيديين مكروا به، وأن قوة وشـــجاعة العرب هو الســـبب في هزائمه المتتالية، بالإضـــافة لخذلان جنوده البرابرة، حيث كانوا يعظمون الخلافة العبيدية[5]، وبعد الهزيمة التي تلقاها المعز ابن باديس من طرف العرب الهلالية غادر القيروان باتجاه المهدية في 449هـ/1051م، ليلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه، وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة 445هـ، حيث كان يرى فيه حسن التصرف، وبقي المعز ابن باديس في ضيافة ابنه إلى أن توفاه الله

---

[1] – أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **المصدر السابق**، ص 292.

[2] – أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ابن الأثير)، **نفس المصدر**، ص 297.

[3] – الهادي روجي (إدريس)، **المرجع السابق**، ص 245.

[4] – أحمد (بن عامر)، **الدولة الصنهاجية**، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص79.

[5] – محمد علي (الصلابي)، الدولة الفاطمية...، **المرجع السابق**، ص 105.

ســنة ثلاثة وخمســون وأربعمائة بضــعف الكبد، وكانت مدة إقامته في الملك ســبعا وأربعين سنة.[1]

[1] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (النويري)، **المصدر السابق**، ص 121.

-خلاصة.

كان الفضل الكبير للمعز ابن باديس بعد الله في القضاء على عقائد الإسماعيلية في إفريقية، وكان بمثابة الحصـــن المنيع للمذهب الســـني المالكي، كما أعلن الولاء للخلافة العباســـية في بغداد ليتخلص نهائيا من الهيمنة الفاطمية، وبذلك دخل التاريخ من أبوابه الواســـعة، حيث كانت دولة القائد عند مفارقته الحياة قوية مســـتقلة، لكن الفاطميين أرســـلوا القبائل الهلالية الشـــرســـة في القتال لتحقيق هدفين: أولهما ظاهر وهو الانتقام من المعز بن باديس بعدما وقف ضدهم مذهبيا وسياسيا، وثانيهما باطن وهو التخلص من القبائل الهلالية الصعبة المراس التي كانوا يخشونها في مصر.

خـــــاتمة

-خاتمة:

بعدما قمنا بمعالجة هذا البحث الموسوم بـــ"المعز ابن باديس الصنهاجي وأدواره المضادة للدولة الفاطمية (46-454هـــ/1016-1062م)"، بطريقة علمية وموضوعية استخلصنا أن أن الدولة الزيرية في عهد المعز ابن باديس عرفت اســـتقرارا داخليا، مما أدى بالمعز ابن باديس أن يتطلع للانفصال السياسي والمذهبي على المذهب الإسماعيلي الشيعي المعارض لمذهب أهل السنة بصفة نهائية، وقد كان له ذلك، وليجعل من المذهب المالكي هو المذهب الرسمي لدولته، وأعلن انضمامه للخلافة العباسية واستقلاله التام عن الدولة الفاطمية في 435هـــ/1043م، ويعتبر استقلال المعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية الحدث الفاصل في تاريخ العلاقة بين السنة والشيعة في بلاد المغرب، وعرّفه الكثير من المؤرخين بالمقاطعة الكبرى، ونلخص بقية النتائج كما يلي:

- يعود ظهور التشيع ببلاد المغرب إلى النشاط المكثف الذي قام به الدعاة الإسماعيلية، حيث قاموا بتأسيس دولتهم بالمغرب الأوسط.

- بعد أن قطع المعز ابن باديس الصنهاجي علاقته السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين الزيريين في إفريقية، قررت الدولة الفاطمية الانتقام منه وذلك بالسماح بزحف الأعراب الهلاليين على بلاد المغرب، والذي يشهد عليهم التاريخ أنهم ألحقوا الخراب والدمار بالمنطقة، وهو ما جاء على لسان المؤرخين، كما كان هذا الزحف السبب الرئيسي في ضعف الدولة الزيرية الصنهاجية سياسيا واقتصاديا، بعد أن استولى الهلاليين على مدينة القيروان وهدموا حصونها، الأمر الذي أرغم المعز ابن باديس ليتوجه من القيروان إلى المهدية.

- لقد كان للفقهاء المالكيين أدوار هامة في نصرة المذهب السني، كما ساهموا بشكل كبير في دفع المعز ابن باديس للانفصال عن الدولة الشيعية بإفريقية، وقد اتخذوا مواقف سياسية معادية للوجود الإسماعيلي الشيعي، وقد بلغ الصراع بين المالكية وأهل السنة أقصى مداه في إفريقية وظهرت أنواع مختلفة من المقاومة، كما كان الصـــراع عنيف ودموي حيث طفت

على السطح الجرائم التي قام بها الشيعة في حق أهالي الشمال الإفريقي، كما قام أهل السنة بمقاومة مشهودة لهم.

– اضـمحلال التشـيع في النصـف الثاني من القرن الرابع الهجري، يعود لجهود المعز ابن باديس الصـنهاجي وفقهاء المالكية، الذين حاربوا المذهب الشـيعي بأقوالهم وأفعالهم وقاموا بمحاربة قهر الفاطميين لسـكان إفريقية، ليجد الفاطميون أنفسـهم غير قادرين على مقاومة العامة، ولم يستطع الخليفة الفاطمي الدفاع عن أتباعه.

وفي الأخير يمكننا القول أن المعز بن باديس الصـنهاجي كان له أدوار سـياسـية وعسـكرية بارزة في مقاومة الشـيعة، والإنتصـار للمذهب السـني الذي لقي أتباعه من غالبية سـكان بلاد المغرب الإضـطهاد والتنكيل طيلة الوجود الفاطمي، ويعود له الفضـل الكبير في رحيل الشيعة وانحصار نفوذهم.

الملاحـــق

الملحق رقم (01): خريطة الدول الإسلامية البربرية بالمغرب في القرن 5 هـ./11م.

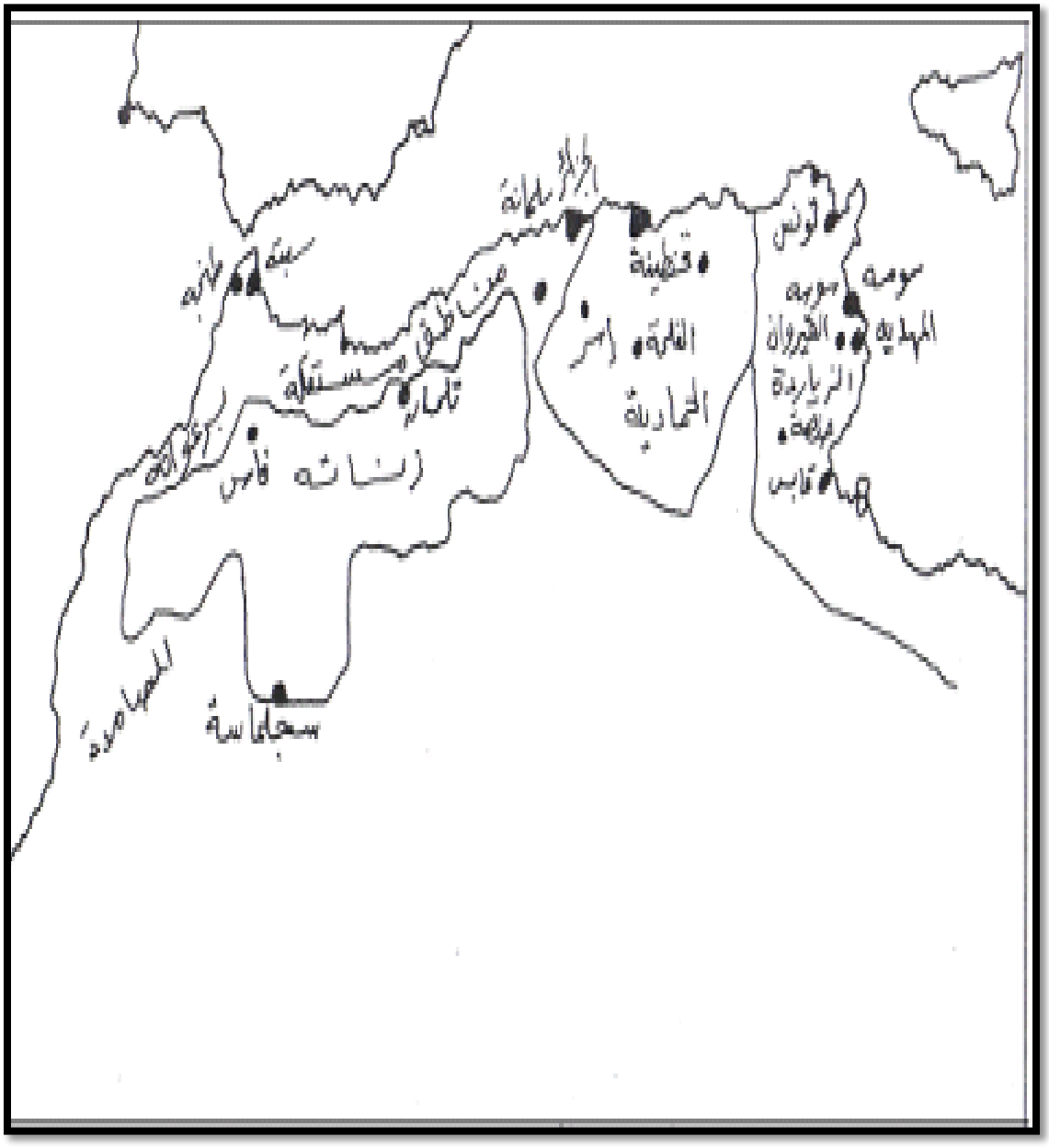

المصدر: عبد الفتاح مقلد (الغنيمي)، موسوعة المغرب العربي، ج2، ص425.

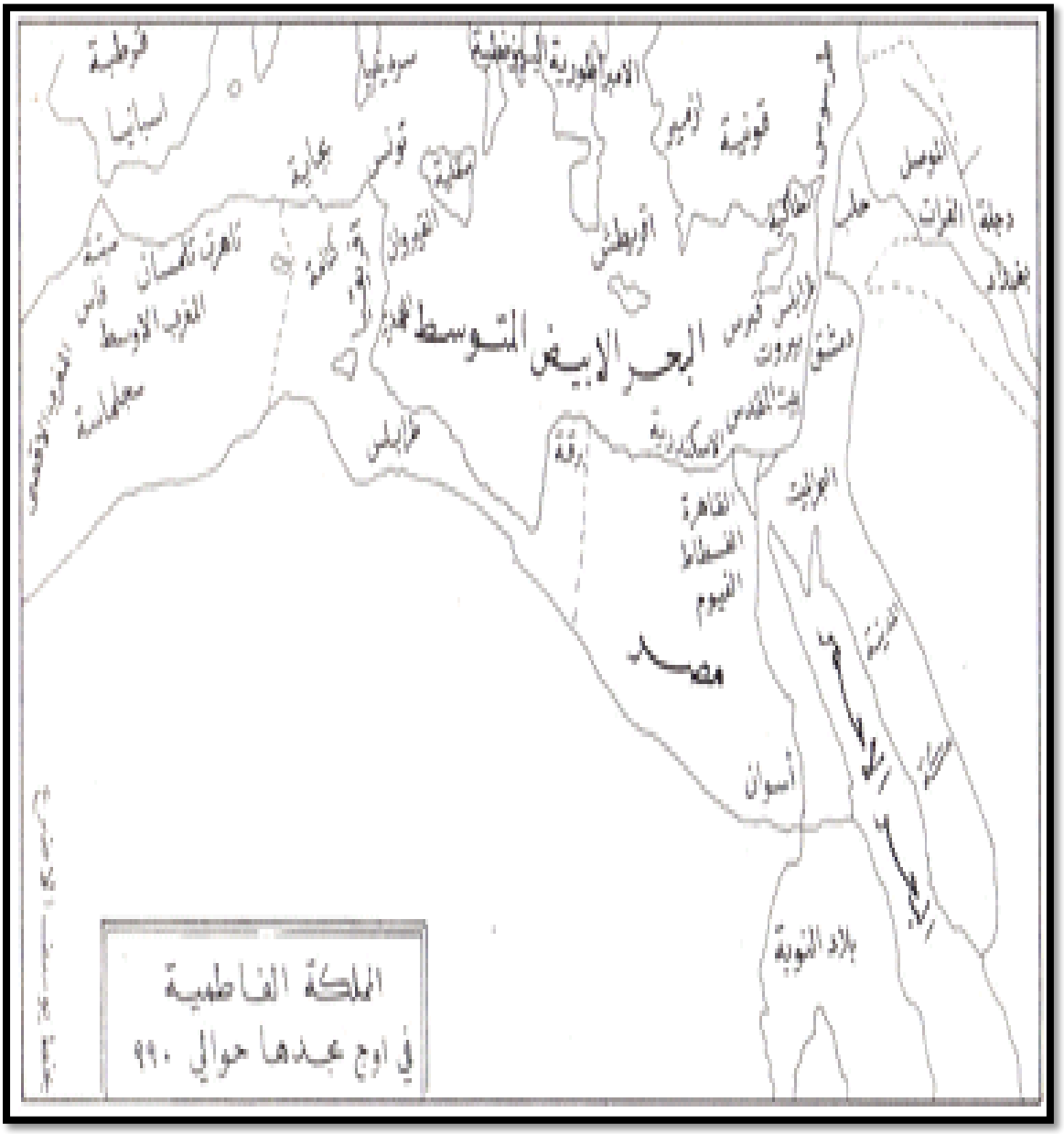

الملحق رقم (02): خريطة الدولة الفاطمية في أوج توسعها.

المصدر: عبد العزيز (شهيبي)، تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، 2013، ص 46.

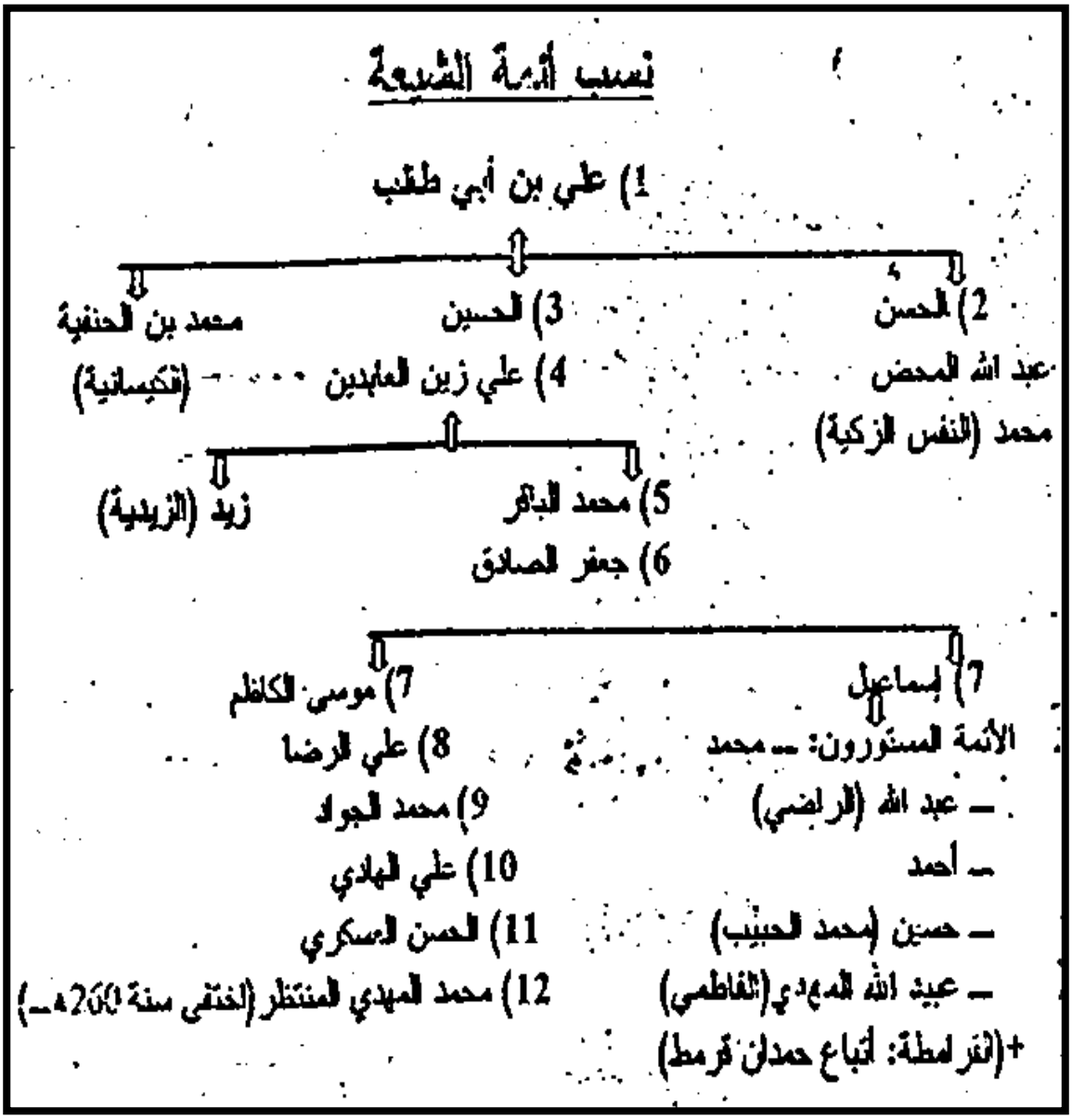

الملحق رقم (03): نسب أئمة الشيعة.

المصدر: ابن حماد (الصنهاجي)، أخبار ملوك بني عبيد، تحقيق وتعليق: جلول أحمد بدوي، ص131.

قـائمة

المصـادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

- ابن أبي دينار (أبي عبد الله)، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضيرتها المحمية، تونس، 1286هـ.

- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن)، **الكامل في التاريخ**، ج9، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1987.

- ابن الخطيب (لسان الدين)، **أعمال الأعلام**، ج2، تحقيق: سيد كسراوي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.

- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الأعيان، ج1، ط2، دار النشر مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، د.ت.

- ابن الوردي (زين الدين عمر)، **تتمية المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي**، ج1، د.ط، تحقيق: البدراوي أحمد رفعت، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 13398هـ-1970م.

- ابن تيمية (أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم)، **مناهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقادرية**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1420هـ-1999م.

- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، **نقط العروس في تواريخ الخلفاء**، تحقيق: إحسان عباس، ج2، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2006.

- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين بن محمد بن أبي بكر)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج1، د.ط، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت.

- ابن خوشب (جعفر أبي القاسم الحسن ابن فرج)، **الفرائض وحدود الدين**، تقديم: حسين بن فيضل الهمداني، القاهرة، 1958.

- ابن عذارى (أبو عبيد الله محمد المراكشـــي)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، د.ط، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983.

- ابن كثير (أبو الفداء إسـماعيل بن الخطيب بن حفص عمر الدمشـقي)، **البداية والنهاية**، ج12، د.ط، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

- الأندلســي (محمد بن محمد)، **الحلل الســندســية في الأخبار التونســية**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1985.

- البغدادي (أبي منصور عبد القاهر ابن طاهر ابن محمد)، **الفرق بين الفرق (بيان الفرقة منهم عقائد الفرقة الإســـلامية وآراء كبار أعلامها)**، تحقيق: محمد عثمان الخشـــن، ط1، جامع الفتح، القاهرة-مصر.

- **مراصـــد الإطلاع على أســـماء الأمكنة والبقاع**، ج3، د.ط، تحقيق: علي محمد البحاوي، دار إحياء الكتب، القاهرة-مصر، 1373هـ-1954م.

- البكري (أبو عبيد الله)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك**، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-مصر، د.ت.

- الحموي (شـــهاب الدين أبي عبد الله ياقوت)، **معجم البلدان**، ج4، د.ط، دار صـــادر، بيروت-لبنان، د.ت.

- **معجم البلدان**، ج5، د.ط، دار صابر، بيروت-لبنان، 1397هـ/1977م.

- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محم الأنصـــاري)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيران**، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005.

- الدمشـــقي (الحافظ أبي الفداء إســـماعيل بن عمر بن كثير القرشـــي)، **البداية والنهاية**، ج12، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، د.ب، 1419هـ/1998م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد)، **سير أعلام النبلاء**، ط11، ج15، مؤسسة الرسالة، بيرت-لبنان، 1997.

- الشنتريني (علي ابن بسام)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ج1، ط1، دار الثقافة، بيروت-لبنان، د.ت.

- الشهرستاني (حمد بن عبد الكريم)، **الملل والأهواء والنحل**، ج1، تحقيق: محمد إبراهيم نصرو، عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت-لبنان، 1992.

- الغزالي (أبو حامد)، **فضائح الباطنية**، د.ط، راجعه، محمد علي قطب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا-لبنان، 1422هـ-2001م.

- القيرواني (حسن بن رشيق)، **نموذج الزمان في شعراء القيروان**، تحقيق: محمد العروسي المطوي، بيشر بكوش، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1406هـ/1986م.

- المالكي (أبي بكر عبد الله بن محمد)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وسكانهم وأخبارهم وفضلائهم**، ج1، د.ط، تحقيق: بشير بكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1414هـ-1994م.

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، **المقفي الكبير**، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1411هـ-1991م.

- **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، د.ط، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة-مصر، 1996.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الخطط المقريزية**، ج1، ط1، تحقيق، محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1998.

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيمي، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

- عياض (القاضي)، **ترتيب المدارك وتقييم المسالك**، ج1، د.ط، تحقيق، محمد سالم هشام، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، د.ت.

2-المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم حسن (حسن)، **تاريخ الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر وسوريا وبلاد المغرب الأقصى**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1958.

- أحمد الزاوي (طاهر)، **أعلام ليبيا**، ط1، دار المدار الإسلامي، مكتبة الفرجاني، 1961.

- الدشراوي (فرحات)، **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، تحقيق: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1994.

- الريس (محمد ضياء الدين)، **النظريات السياسية الإسلامية**، ط4، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1964.

- الزاوي (طاهر أحمد)، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط1، دار المدار الإسلامي، سلسلة الجهاد في ليبيا، طرابلس-ليبيا، 2004.

- الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، ط15، دار الأوائل، سوريا، 2005.

- الصلابي (علي محمد)، **نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية**، ط1، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، مصر-القاهرة، 2007.

- **الدولة الفاطمية**، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة-مصر، 1427هـ/2006.

- الطمار (محمد)، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 2016.

- العبادي (أحمد مختار)، **التاريخ العباسي والفاطمي**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د.ت.

- العزاوي (عبد الرحمن حسين)، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، تحقيق، أحمد ياسين، دار الخليج، عمان-الأردن، 2011.

- الفرماني (أحمد بن يوسف)، **أخبار الدول**، ج2، ط2، دار الكتب اللبناني، بيروت-لبنان، 1989.

- المجدوب (عبد العزيز)، **الصـراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، د.ط، تقديم، علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، رمضان 1395هـ/ سبتمبر 1975.

- بن عامر (أحمد)، **الدولة الصنهاجية**، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

- بن محمد الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1384هـ/1965م.

- تيمور باشا (أحمد)، **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة**، د.ط، دار القراءة، د.ب، د.ت.

- جمال الدين (عبد الله محمد)، **الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصـر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصـة بالجيش**، د.ط، دار الثقافة والنشـر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991.

- حسـن حسـني (عبد الوهاب)، **شـهيرات التونسـيات**، د.ط، المطبعة التونسـية، تونس، 1353هـ.

- **خلاصة تاريخ تونس**، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

- حسن خضيري (أحمد)، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، د.ط، مكتبة مدبولي، جامعة جنوب الواد، الجزائر، 1362هـ567هـ/973هـ1071م.

- روجي (إدريس الهادي)، **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**، حققه: حمادي السـاحلي، ج1، ط2، دار الغرب الإسـلامي، بيروت-لبنان، 1992.

- سرور (حمد جمال الدين)، **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مدينة النصر.

- عارف (تامر)، **تاريخ الإسـماعيلية، الدولة الفاطمية الكبيرة**، ج3، ط1، شـبكة كثير الشيعية، لندن، قبرص، 1991.

- عبد الحميد (سـعد زغلول) ، **تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصـنهاجيون إلى قيام المرابطين**، ج3، د.ط، منشأة المعارف، القاهرة-مصر، د.ت.

- عويس (عبد الحميد)، **دولة بني حماد، صـــفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط1، دار الشروق، بيروت-لبنان، 1980.

- غالب (مصطفى)، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، ط2، دار الأندلس، بيروت-لبنان، د.ت.

- غاوجي (وهبي سليمان)، **أبو حنيفة النعمان، إمام الأئمة الفقهاء 80-150هـــ**، ط5، دار القلم، دمشق، لبنان، 1413هـ-1993م.

- قليقلة (عبده عبد العزيز)، **البلاط الأدبي للمعز بن باديس دراســـة تاريخية أدبية نقدية**، د.ط، الناشر عمادة شؤون المكتبات، جمعية الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ت.

- لعروسي المطوي (محمد)، **سيرة القيروان رسالتها الثقافية في المغرب الإسلامي**، د.ط، دار العربية للكتاب، تونس، 1981.

- مارسيه (جورج)، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، د.ط، ترجمة، محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1991.

- محمد سهيل (طقوش)، **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام**، ط2، دار النفائس، بيروت-لبنان، 2007.

- محمود (حســـن أحمد)، **قيام دولة المرابطين**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة-مصـــر، د.ت.

- مرمول (محمد صالح)، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- هيصا (موسى)، **التمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين**، ج1، د.ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 1434هـ-2013م.

3-المراجع باللغة الأجنبية.

- Marçais (G), Arabes en Berbérie du XI au XIV Siècle, Ernest Leroux, paris.

3-المجلات.

- العكاك (عثمان)، «**الوحدة الثقافية للمغرب العربي**»، مجلة الأصالة، ع11، السنة الثانية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ذو القعدة 1392هـ/نوفمبر-ديسمبر 1972م.

- أمين الدين (تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان ابن الصرفي)، «**الإشارة إلى من نال الوزارة**»، تحقيق: عبد الله مخلص، مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، العدد الخامس والعشرون، المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة-مصر، 192هـ.

4-الموسوعات:

- الغنيمي (عبد الفتاح)، **موسوعة المغرب العربي**، ج2.

- مصطفى (شاكر)، **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1993.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل التمهيدي

ظهور الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي والسياسة المضادة للمعز بن باديس لها

- تمهيد 06

أولا: قيام الدولة الفاطمية 08

ثانيا: عبيد الله المهدي أول خليفة شيعي رافضي 10

ثالثا: تثبيت دعائم الحكم الفاطمي بالمغرب 11

رابعا: سقوط الدولة الفاطمية العبيدية 12

خامسا: شخصية المعز بن باديس الصنهاجي 13

1-لمحة تاريخية عن المعز بن باديس: نشأته وحياته ووفاته 13

1.1-ولادة المعز بن باديس 13

2.1-حياته 14

3.1-وفاة المعز بن باديس 15

-خلاصة 16

الفصل الأول

الانفصال السياسي للمعز ابن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية

-تمهيد 18
أولا: أوضاع المغرب بعد تولي المعز ابن باديس الحكم 19
أ-ولاية المعز ابن باديس 19
ب-صراع المعز ابن باديس مع قبيلة زناتة 20
ج-الصراعات الداخلية والإقليمية بالمغرب الإسلامي 22
د-ازدهار الدولة الزيرية في عهد المعز ابن باديس 24
ثانيا: التسلسل الزمني لأحداث انفصال المعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية بإفريقية 25
أ-أحداث 407هـ/1016م 25
ب-أحداث سنة 409هـ/1018م 26
ج-أحداث سنة 423هـ/1031م 28
ثالثا: المعز بن باديس يقاطع الفاطميين ويعلن ولائه للدولة العباسية 29
أ-الأوضاع بالمغرب والمشرق قبل القطيعة مع الفاطميين 29
ب-العلاقة بين المغرب الإسلامي ومصر قبل القطيعة 30
ج-القطيعة مع الفاطميين والولاء للخلافة العباسية 32
-خلاصة 35

الفصل الثاني

الانفصال المذهبي للمعز ابن باديس عن الدولة الفاطمية ونصرته للمذهب السني

- تمهيد 37

أولا: الصراع المذهبي السني الشيعي ببلاد إفريقية 38

أ-الدعوة الشيعية الإسماعيلية ببلاد المغرب 38

ب-المذهب المالكي وفقهائه في المغرب الأوسط 41

ج-الصراع بين أهل السنة والفاطميين الشيعة في بلاد المغرب الأوسط 42

د-موقف أهل السنة من الصراع ضد الشيعة وأساليب المقاومة 44

ثانيا: المعز ابن باديس ينفصل عن مذهب الفاطميين ببلاد إفريقية 46

أ-المعز ابن باديس الصنهاجي ينتصر للمذهب السني (406-449هـ/1016-1057م) 46

ب-المعز ابن باديس يناهض ويقاتل الشيعة بإفريقية 48

ج-المعز ابن باديس يقاطع المذهب الشيعي ويعلن ولائه للخلافة العباسية 50

ثالثا: الزحف الهلالي لبلاد إفريقية ونهاية عهد المعز ابن باديس 52

أ-الزحف الهلالي على بلاد إفريقية 52

ب-الحرب بين المعز ابن باديس والقبائل الهلالية 54

ج-نهاية عهد المعز ابن باديس الصنهاجي 55

-خلاصة 57

خاتمة 59

الملاحق 62

قائمة المصادر والمراجع 66
فهرس المحتويات 74

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

ظهرت ببلاد المغرب الأوســـط العديد من الدويلات التي حكمتها، ومن أهم هذه الدويلات الدولة الصـــنهاجية الزيرية، التي عرفت تطور كبير في عهد الأمير الزيري المعز ابن باديس الصنهاجي، الذي كان له الفضل في الانفصال السياسي والانفصال المذهبي عن الفاطميين الشـــيعة في القاهرة، وبين الزيريين في إفريقية، وليعلن عودته للمذهب الســـني المالكي كما أعلن ولاءه للخلافة العباســـية، ونتيجة لهذا الانفصـــال، عملت الدولة الفاطمية للانتقام من المعز ابن باديس الصـــنهاجي وذلك بالســـماح للأعراب الهلالية بالزحف لبلاد المغرب الإسـلامي، وقد ألحقت هزائم متتالية بالمعز ابن باديس، كما قاموا بالقضـاء على قوة الزيريين، ونتيجة لهذه الأحداث المتتالية التي هي جزء من تاريخ الدولة الصـــنهاجية الزيرية جاءت دراستنا بعنوان "المعز ابن باديس الصنهاجي وانفصاله عن الدولة الفاطمية